

بين الأزهر ودار العلوم

ولي شك قليل بين الأزهر ودار العلوم وقسم اللغة العربية في كلية الآداب ، فهذه المعاهد الثلاثة تخرج الأخصاص في تدريس اللغة العربية في المدارس ، وكل يدلي بحجته في أحقيته . ولا أريد أن أعرض هنا لمن هو أحق ، ولرأيهم أليق بأن يسند إليه العمل ، فهذا القول لا يحل المشكلة من أساسها ، وسيبقى النزاع ويستمر الخصام وتتابع الحكومات فتنصر هذا الفريق يوماً وذاك آخر ، وقد تدخل السياسة في الأمر فتقضي فيه بحكم السياسة لا بحكم التربية والتعليم

إنما المشكلة الكبرى والنقطة الغالبة في نظري هي موافقة الحكومات المتتابعة على إيجاد ثلاثة معاهد لإعداد صنف واحد لغرض واحد ، مع أن معهداً واحداً واحداً أقوى من معهد واحد يكفي لتحقيق هذا الغرض

لو كان إنشاء المعاهد لا يتطلب مالا ولا يكلف جهداً ، لقلنا مع هذا إنه ضرب من العبث ونوع من الترف ، فكيف وهو يتطلب المال الكثير يوضع في ميزانية الحكومة ، ويتطلب الجهد الكثير في تحضير هذا الصنف وإعداد هذا النوع ؟

قد نجاري الرأي القائل بأن قسم اللغة العربية في كلية الآداب إنما أنشئ لثقافة العربية العامة والبحث العلمي الجامعي ، من غير نظر إلى وظيفة ولا تدريس ، ولكن هذا لا يحل المشكلة ، لأنا نرى بعض خريجيه يدخل معهد التربية ليكون معلماً فيكون له الحق أن يدخل خصماً ثالثاً في النزاع بين الأزهر ودار العلوم

وحتى إذا كنا نظرنا إلى الأزهر ودار العلوم رأينا كلا منهما يعد أبناءه ليكونوا المدرسين ، فهم يدرسون علم التربية وطرق التدريس ، أعني أنهم يعدونهم إعداداً خاصاً ولا يقتصرون على تثقيفهم ثقافة عامة ، فيصبحون ومثلهم في ذلك مثل المدرسة الحربية ومدرسة البوليس

فهل مما يدل على سعة نظر الحكومات أن تنشئ مدرستين للبوليس وهي في حاجة إلى مدرسة واحدة ؟ أو هل سمعت بشركة حازمة واحدة تنشئ مصنعين لإخراج مادة واحدة في بلد لا يحتاج إلا إلى مصنع واحد ؟

شأن المدارس الخاصة غير شأن المدارس العامة ، فمن الحق للحكومة أن تنشئ ما لا يحصى من مدارس ابتدائية وثانوية ، ولها الحق أن تنشئ جامعة في القاهرة وجامعة في الإسكندرية وجامعة في أسيوط وجامعة في أسوان ، فمن الحق لها بل من الواجب عليها أن تنشئ ما تستطيع من هذه المدارس لثقافة العامة ، وهي إذ تفعل ذلك تشكر

ولكن ليس من حقها أن تنشئ مدرستي بوليس لتخريج أفراد والبلد في حاجة إلى نصفها

فكيف ساغ لها أن تنشئ ثلاث مدارس فنية خاصة لتخريج معلمين للغة العربية تنفق عليها المال الكثير ، والأمة في حاجة إلى مدرسة واحدة من هذا النوع ؟ وكيف ساغ لها أن تسرف هذا الإسراف الكبير في إنفاق هذه الأموال على الكماليات ، بل ليس على الكماليات ، ولكن على خلق أسباب النزاع ، والبلاد في أشد حاجة إلى الضروريات ، والفلاح لا يشرب ماء صافياً ولا يستطيع أن يعيش عيشة صحية ؟

وأين كانت الحكومة يوم قررت إنشاء قسم اللغة العربية بكلية الآداب ووضعت له المال في ميزانيتها وبجانبها وبجوارها دار العلوم ؟

(البقية على الصفحة المواجهة)

مع أدبائنا المعاصرين

«رجعة أبي العلاء»

للأستاذ عباس محمود العقاد

بقلم الدكتور طه حسين بك

كنت أريد أن أخصص هذا الحديث لكتاب آخر من كتب الأستاذ العقاد لم يظفر بما هو أهل له من النقد ولم يحتفل بما هو أهل له من الاحتفاء، وهو قصة «سارة».

وكنت أتأهب لقراءة هذه القصة للمرة الثانية لأجدد العهد بها وأذكر ما سنح لي من الخواطر أثناء قراءتها الأولى. وإذا البريد يحمل إلى من الأستاذ العقاد كتابه «رجعة أبي العلاء» هدية مشكورة، [illegible] من القاهرة إلى المحكمة المختلطة، وهذا أيسر ما يستحقه من الحكم الشيخ. ثم أعرضت عن نقد تلك القصة الغرامية إلى نقد هذه الصورة الفلسفية، وهذا أيسر ما ينبغي للمؤلف من إيثار الجد الرزين على الدعابة الحلوة.

وقد رغبني في نقد هذا الكتاب أمران: الأول أنه كتاب جديد لم يقرأه أكثر الناس وإن كان بعض القراء قد ألموا بهذا الفصل أو ذاك من فصوله حين كانت تنشر في البلاغ. ومن الخير أن نعرض على القراء كتاباً جديداً لا يعرفونه أو لا يكادون يعرفونه، فنجمع بذلك بين النقد الذي نقصد إليه وبين التعريف الذي قد يدفع إلى القراءة ويرغب فيها. والثاني أني قد أمليت كتابين في أبي العلاء ظهر أحدهما منذ خمسة وعشرين عاماً وأرجو أن يظهر الثاني في الأسابيع المقبلة إن شاء الله. فأنا أحب أبا العلاء وأكلف به، وأحب التحدث عنه والتحدث إليه والاستماع للذين يتخذونه موضوعاً للحديث ومناقشتهم حين يخوضون من حياته وآرائه وفلسفته في هذا الباب أو ذاك. ولم [illegible] الأستاذ العقاد من فصول كتابه [illegible] لكني قرأت إلا فصلاً واحداً من هذه الفصول، ثم صرفتني عنها شواغل الحياة وانتظار أن يظهر الكتاب جملة بعد أن ظهر تفاريق. وقد خلت

وأني كانت الحكومة يوم قررت إنشاء كلية اللغة العربية بالأزهر وجدت لها السبيل في مزايلتها وبين مثيلها وبين نظيرها دار العلوم وكلية الآداب؟

كنت أفهم أن الحكومة الرشيدة تتساءل إذ ذاك في صراحة: هل تصلح دار العلوم للبقاء أو لا تصلح؟ فإن كانت صالحة أو تقبل الإصلاح فلا تعمر كلية اللغة العربية في الأزهر ولا قسم اللغة العربية في كلية الآداب، إلا إذا أريد بهما الثقافة العامة في اللغة العربية من غير تعريض إلى التربية وعلم النفس وطرق التدريس وما إلى ذلك، وإن لم تكن صالحة ولا قابلة للإصلاح قررت إلغاءها، وقلبها المعهد الكبير الذي لا بعد وناقلت عن المثل المعهد الجديد، إلحاق الأزهر أو في كلية الآداب وتتم الدراسة فيه.

أما أن توافق على إنشاء هذا وذاك كما توافق على إقرار ذلك، فعمل أقل ما يوصف به أنه عدم تقدير للعواقب مع وضوحها وتأكدها.

ثم هذه هي المشكلة التي يجب حلها الآن، أما حلها مساعات أو تعديل عدد من هذا وعدد من ذاك وعدد من تلك، فحلها سطحية ومسكنات عرضية، لا يلجأ إليها الطبيب الماهر ولا يكتفي بها، لأنها لا تستأصل المرض.

أحمد أمين

إلى الكتاب جلستين في ليلتين فجنيت منه ثمراً حلواً وظفرت منه بمتاع عظيم ، ووجدت فيه لنفسي غذاء كما وجدت فيه لنفسي فكاهة ، وكما وجدت فيه من نفسي روحها وعقلها ولبها . ورأيي في الأستاذ العقاد وفي آثاره الأدبية والفلسفية معروف ، فهو من هؤلاء الأدباء القليلين الذين لا تقرؤون لقطع الوقت ، ولا يستعان بهم على احتمال الفراغ ، وإنما يقرؤون لالتماس الفائدة ، واكتساب العلم ، واجتلاب اللذة . وهو من هؤلاء الأدباء القليلين الذين لا تقرأ آثارهم اليوم لتنساها غداً وإنما تقرؤها ثم تستبقي التفكير فيها في أنفسنا ولا نخلص منها حتى ولو بذلنا الجهد في ذلك ، لأن صاحبها لم يكتبها في سهولة ولم ينتجها في يسر ، ولم يتناولها من قريب ، وإنما جد فيها واجتهد ، وكد فيها واحتمل المشقة ، فكان ما حصله منها خليقاً أن يثبت ويستقر ، وأن تحمله الأيام . وهو أيضاً من هؤلاء الأدباء القليلين الذين لا تقرؤهم في سهولة [illegible] في غير جهد وكد ، وإنما تقرؤهم في [illegible] بعد نظر وتفكير ، لأنهم يكتبون في أناة وروية ، وينتجون بعد نظر وتفكير . وقد أنفق الأستاذ العقاد في تأليف هذا الكتاب نوعين من الجهد هما خليقان بالرضى كله وبالإعجاب كله وبالثناء كله : فأما أول هذين الجهدين فهو جهد البحث والدرس والمراجعة والاستقصاء وسؤال اللزوميات عما أضمرت وما أظهرت ، واستخبارها عما أسرت وما أعلنت ، يجد معها في هذا السؤال حيناً ويمرح معها حيناً آخر ، ويرفق بها في هذا الاستخبار مرة ويعنف بها مرة أخرى ، يستخلص منها ما عندها أحياناً ويفرض عليها ما عنده أحياناً أخرى .

وأما الجهد الثاني فهو جهد الروية والتفكير ، وجهد القياس والاستنتاج . فالأستاذ العقاد ليس مؤرخاً في هذا الكتاب ، ولكنه مؤرخ ومنشئ ، إن صح هذا التعبير ، بل قل إنه مؤرخ ومنشئ ، وواصف محقق أيضاً ، يتحدث إلينا عما كان ، ويتحدث إلينا عما هو كائن ، ويتحدث إلينا عما سيكون ، أو عما يقدر أنه سيكون . لم يرد أن يصور لنا أبا العلاء فحسب ، أو قل لم يرد أن يصور إلينا أبا العلاء كما كان ، وإنما أراد أن يصوره كما يمكن أن يكون لو أن الله أنشره ورده إلى الحياة . والله وحده هو القادر على أن ينشر أبا العلاء ، وهو القادر على أن يعطينا من أبي العلاء الصورة الصادقة ، لو أن أبا العلاء عاش في هذا الزمن الذي نعيش فيه . فأما نحن فمتكلفون حين نحاول ما لا طاقة لنا به ، ونطلب ما لا سبيل لنا إليه ، ومن التكلف ما ينتهي بأصحابه إلى الإخفاق ، ويضطرهم إلى الإحالة ، ويدفعهم إلى ألوان من السخف ، ومن التكلف أيضاً ما يحقق لأصحابه ما أرادوا ، ولكنه ينتهي بهم إلى أكثر مما أرادوا ، ويتيح لهم إمتاع قرائهم بألوان من [illegible] . وهذا هو الذي كتب للأستاذ العقاد [illegible] أن يعطينا صورة من أبي العلاء لو عاش في هذا العصر ، فأعطانا صورة من الأستاذ العقاد الذي يعيش في هذا العصر ، وما أحسبنا قد خسرنا شيئاً بل أحسب أنا قد ربحنا كثيراً . فمن أعسر الأشياء وأبعدها عن متناول الأديب مهما يكن ذكي القلب نافذ البصيرة أن يبلغ الغاية من تصوير الحقيقة التاريخية ، فكيف باختراع الصورة لشيء لم يكن وليس من الممكن أن يكون ؟ أريد أن أقول إن من أعسر الأشياء على الأديب أن يعطينا صورة صادقة من أبي العلاء نفسه كما عرفته المعرة ، وكما عرفه معاصروه ، فكيف السبيل إلى أن يعطينا الأديب صورة من أبي العلاء العصري الذي لا يعرفه أحد ولا يمكن أن يعرفه أحد ، لأنه لم يوجد وليس يمكن أن يوجد ؟ وأقل الناس علماً بالتاريخ الأدبي وممارسة لصناعته يعرفون أن كثيراً من المؤرخين ربما خيل إليهم أنهم يصورون لنا

الكاتب أو ذاك وهذا المفكر أو ذاك، ولكنهم في حقيقة الأمر لا يصورون إلا أنفسهم. يعكسون أنفسهم على رجال التاريخ ويصفون أنفسهم حين يصفون رجال التاريخ. يفهمون النصوص الأدبية كما يستطيعون، وكما تريد طبائعهم وأمزجتهم، لا كما أراد الأدباء والمفكرون الذين أملوا هذه النصوص أو كتبوها. فكيف بالمؤرخ الأديب إذا أراد أن يبعث شخصاً من أشخاص التاريخ ويمنحه حياة جديدة معاصرة لا يكاد يعتمد فيها إلا على الشواهد والقرائن، ولا يكاد يستمدها إلا من الوهم والخيال؟

وكذلك أراد الأستاذ العقاد أن يرد أبا العلاء إلى الحياة فلم يصنع شيئاً، وإنما أحيا لنا من أبي العلاء ذلك الشخص المعروف أو الذي لا نعرف من أمره كل شيء، ولعلنا نجهل من أمره أكثر مما نعرف، وليس على الأستاذ العقاد بأس من ذلك، فقد حاول شيئاً لا سبيل إليه، وحاوله وهو يعلم أن لا سبيل إليه. أراد التسلية والمز[illegible] الجد والتحقيق. والطريف من ه[illegible] الأستاذ العقاد [illegible] أن يرحل بأبي العلاء بعد أن بعثه [illegible]، وأن يطوف به في أقطار الأرض فلم يصنع شيئاً، وإنما ارتحل به في طائفة من الكتب التي قرأها، وفي ألوان من العلم الذي أحاط به، وفي فنون من الآراء التي ألفها واستحسنها، ذلك لأن الأستاذ العقاد نفسه لم يرحل ولم يطوف في أقطار الأرض. وإنما ارتحل وهو مقيم وطوف وهو مستقر، وعرف الدنيا وهو لم يتجاوز حدود مصر. وهذه مزية من مزايا الأستاذ وفضيلة من فضائله، ولكن الله لا يكلف الناس فوق ما يطيقون، وبائعة السجاير مهما تكن جميلة لا تستطيع أن تعطيك إلا ما عندها كما يقول الفرنسيون. وعند الأستاذ العقاد أدب وعلم وفلسفة، فهو يملأ يديك أدباً وعلماً وفلسفة، ولكنه لم يرحل إلى أوربا ولا أمريكا فلا يستطيع أن يرحل بك ولا بأبي العلاء إلى أوربا ولا إلى أمريكا. يحمل الأستاذ أبا العلاء في ألمانيا وفي الروسيا وفي السويد والنرويج والدانمرك، وفي بلاد الانجليز وفي اسبانيا وفي أمريكا، ولكنه لا يريك من هذه البلاد شيئاً، ولا يطلعك ولا يطلع أبا العلاء إلا على بعض ما عنده من آراء أصحابها وبعض سيرهم، ويلتفت بك إلى مصر، فيطلعك منها على طبيعتها الرائعة ونهرها الجميل. ذلك لأنه يعرف مصر، وقد رآها رأي العين، فهو قادر على أن يعطيك منها شيئاً. وهو أمين كل الأمانة، فلا يستطيع أن يعطيك من أوربا ولا من أمريكا شيئاً لأنه لا يعرفهما. أستغفر الله واستغفر الأستاذ العقاد، بل لأنه لم يرهما رأي العين، ولم يلم بهما إلا من طريق الكتب.

والطريف من هذا وذاك أن الأستاذ العقاد أراد أن يغلب [illegible] لم يصنع شيئاً، لأن عقله كان في هذه المرة أقوى من خياله. وماذا تريد أن يصنع وهو يعرض [illegible] السياسية والاجتماعية العليا، وله في [illegible] آراؤه ومذاهبه؟ أتراه يعرض عن هذه الآراء والمذاهب ويرسل خياله القوي على سجيته؟ ولكن في هذا خطراً شديداً، فقد يجمح الخيال وقد يمضي إلى غير غاية، وقد يؤيد من الرأي ما لا يرى العقل. والأستاذ العقاد ديمقراطي يبغض الشيوعية كل البغض، ويبغض الفاشية كل البغض، ويؤثر ما في الديمقراطية من الاعتدال والقصد، فلا بد من أن يعرض هذا كله على أبي العلاء، ولا بد من أن يظهر لنا أبا العلاء ديمقراطياً معتدلاً عدواً لستالين وموسوليني وهتلر وستالين، بل للأستاذ العقاد ميل إلى بعض الديمقراطيات دون بعضها الآخر، فهو يؤثر ديمقراطية أهل الشمال، فلا بد من أن يعرض هذا على أبي العلاء، فأبو العلاء إذن يؤثر أهل السويد والنرويج والدانمرك على شعوب أوربا كلها. والأستاذ العقاد يعجب بما في حياة الإسكنديناف من توازن، فلا بد من أن يعجب أبو العلاء من هذا

الخوارزمي نهباً . وكذلك أصبح أبو العلاء صورة للأستاذ العقاد ، ولم يصبح الأستاذ العقاد صورة لأبي العلاء . والمسألة التي تحتاج إلى جواب ، ولكننا لم نظفر بهذا الجواب هي هذه : أيرضى أبو العلاء عن هذه الصورة التي عرضها عليه الأستاذ العقاد لو أنه عرفها أم يسخط عليها ؟ أما الأستاذ العقاد فسيجيبنا بأن أبا العلاء لا يرضى عن هذه الصورة ، لأن أبا العلاء لا يريد أن يكون شيئاً غير أبي العلاء . ففيم إعطاؤنا هذه الصورة ؟ وفيم عرضها علينا ؟ وفيم إزعاج الشيخ عن مرقده ؟ وفيم تكليفه السفر في الطائرات والقطارات والسفن وتكليفه ما لا يطيق وما لا يحب ؟ في شيء واحد هو هذا البحث الخصب ، وهذا اللعب الممتع ، الذي يعمد إليه الأديب ليعطيك ما عنده ، وليظهرك على ما في نفسه ، وما يعنى لك أن يرسم الأديب طريقه أو تمضي عليه هذه الخطة أو تلك في الإنتاج ، وإنما يعنى أن [illegible] عنه أو ساخطاً عليه . [illegible] ما تبذل من الجهد والمحاولة لاستيعاب [illegible] سواء أوفق إلى ما يريد أو إلى ما تريد من ذلك أم لم يوفق . فلنحمد للأستاذ العقاد جهده ولنشكر له محاولته ولنسجل له كثيراً من التوفيق في تصوير أبي العلاء القديم ، وإن كنا نظن أنه قد أخطأ من صورة الشيخ بعض ملامحها ، وذهب في تفسير بعض شعره مذاهب ما أظنه كان يرضاها وما أظنها تلائم الحق من أمره . فقد روى[1] الأستاذ العقاد من حديث أبي العلاء عن الخمر مثلاً شعراً كثيراً ، وهو يرى أن الشيخ لعله قد ذاق الخمر في الأديرة التي ألم بها ، وهذا جائز ، وجائز أيضاً أنه ذاقها في غير الأديرة حين كان يعيش عيشة الشعراء في الطور الأول من حياته ، بل جائز أيضاً أنه قد ذاقها في بغداد حين كان يعيش عيشة الفلاسفة والعلماء ، ولكني لا أحسبه شرب الخمر أو هم بشربها بعد العزلة كما يظن الأستاذ ، وما أحسبه اشتاق إليها ، وما أرى أن في شعره ما يصور هذا الشوق ، وإنما هي مذاهب الرجل في التعبير والتصوير ، لا ينبغي أن تؤخذ على ظاهرها .

ويجري الأستاذ العقاد بين أبي العلاء وتلميذه حواراً يكثر فيه الاستشهاد بالقرآن الكريم . وأكبر الظن أن هذا النوع من الحوار وهذا النحو من الاستدلال لا يلائم روح أبي العلاء . وإنك لتقرأ « الفصول والغايات » وهو كتاب وعظ وتمجيد لله فيما يقول صاحبه ، فتعجب لمقدار استشهاد أبي العلاء بالقرآن والحديث . وقد لاحظت أن الرجل لا يستشهد بهما إلا على اللغة ، وعلى اللغة وحدها . ثم إن الأستاذ يحمل أبا العلاء من هذا الاستدلال ما لا يطيق ، فهو يجري على لسان أبي العلاء[1] أن [illegible] لا رأي لها ، وهو يحمل أبا العلاء على أن يستشهد [illegible] القرآن الكريم كقول الله تعالى : « ولكن [illegible] » وكقوله : « وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله » . وما أظن إلا أن الأستاذ يوافقني على أن هذا النحو من الاستدلال شديد الخطر ، بل هو قد نبه على ذلك بالنص ، فأجرى على لسان التلميذ أن الله يأمر بالشورى ، ثم أجرى على لسان أبي العلاء أن الله يأمر بسؤال أهل الذكر ، ويفضل العلماء على غير العلماء . وواضح جداً أن كل هذه الآيات ملائمة أشد الملاءمة لمواضعها التي جاءت فيها ولأغراضها التي سيقت إليها ، وإنما نتكلف شططاً من الأمر حين نسوقها للاستدلال على أن للكثرة رأياً في الحكم أو على أن الكثرة لا رأي لها فيه . وقد أراد الأستاذ أن يجعل لأبي العلاء منزلة بين أبي نواس وبين عمر الخيام ! وما أدري أموفق

(البقية على صفحة ٤٦)

(١) صفحة ٤٧ .

(١) صفحة ١٢٣

أسعفوا التاريخ

للأستاذ عبد العزيز البشري

ليت شعري لو سألت ، بعد عشر سنين مثلاً ، شاباً ممن سيتصفحهم العصر يومئذ ، بل لو سألت اليوم شاباً ممن هم في الثلاثين فما دون — أن يجلو عليك صورة من الحياة المصرية ، وأخص حياة المدن قبل ثلاثين سنة فقط ، فكيف تراه يقول ؟

أخشى ألا يقول شيئاً قط ، لأنه لا يكاد يعرف منها شيئاً قط !

لقد حالت الكثرة الكثيرة من أساليب حياتنا في هذه المدة القصيرة بسرعة لا أحسب [illegible] حساب مؤرخ ولا عالم اجتماعي ، [illegible] سائر المفكرين

ويصعب الآن منا أن يلتفت بالذاكرة إلى ما قبل أربعين سنة خلت أو ثلاثين ، ويطلبها في نواحي حياتنا لترجع إليه بصفة قوم غير القوم ، وناس لا يكاد يربطهم شبه بهذا الناس !

لقد تغيرنا سريعاً جداً في أخلاقنا ، وآدابنا ، وأسلوب مساكننا ، وطعامنا ، ولبسنا ، وسمرنا ، ولهونا ، وعاداتنا ، وزواجنا ، وأعراسنا ، ومآتمنا ، وسائر أسبابنا . فلم يبق لنا من ذلك فينا إلا الأقل من القليل . ولا شك أنه كذلك في طريق التطور والتحور .

وكذلك تختفي من الوجود صورة أمة ، لتحل في موضعها صورة أخرى ، إذا قدر لحياتنا قرار قريب .

وإذا كان « لكل حالة قرار » كما يقول الشاعر ، فلا شك في أننا نسلك الآن برزخاً بين عيشين مختلفين أشد الاختلاف ، مفترقين أبلغ الافتراق ، عيشين لا يكاد يسع التصور لأنهما لأمة واحدة ، وخاصة في مثل هذا الزمن القصير !

وليس يتسع هذا المقام ، بالضرورة ، لاستقصاء كل ما تناوله التطور الشديد في بلادنا . ويكفينا أن نعرض الآن نموذجاً واحداً يصلح أن يكون مثلاً للجميع :

كان نساء الطبقتين العليا والوسطى ، في هذا العهد القريب ، لا يبدون في الطريق إلا مقنعات محجوبات أمنع حجاب . فللرأس غطاء ، وللوجه غطاء ، ولسائر الجوارح غطاء ، بحيث لا يظهر منهن إلا العيون من خلل البرقع ، وأطراف البنان في قبضهن على مصاريع الملاءة .

وكانت هذه الأغطية تختلف باختلاف البيئات . فالسيدة أو الفتاة المتوسطة الحال ، تلتف في الملاءة [illegible] [illegible] من الحرير (الكريشة) . وكلما كان [illegible] بزي خاص . لا ترسلها كما ترسلها [illegible] الطبقة الدنيا . بل إنها تضيق على مدار الخصر ، وتضيق على ما دونه من الكشحين .

وأما قناع الوجه فالبرقع الأسود ، يرسل من أسفل الجبين إلى لبة الصدر ، ويحلى من وسط أعلاه بحلية من الذهب غالباً ، أو من الفضة المموهة بالذهب أحياناً ، وتدعى هذه الحلية « عروسة » البرقع . ولا حاجة إلى وصفها ، فلا يزال يضعها بعض « بنات البلد » .

وأما الطبقة (العليا) فيتخذن ، في العادة ، الحبرة (الحرير) . وأما الوجوه فيسترنها بقناع أبيض لا « عروسة » له ولا سواها من الحلى ، وربما وضعن بدل القناع (اليشمك) وهذا كان خاصاً بالطبقة (الأرستقراطية) جداً ، لا يشركهن فيه غيرهن ، وربما اتخذ نساء الطبقة الوسطى الحبرة (الحرير) إذا دعت بعض المناسبات كحضور الأعراس والزيارات ذات الخطر .

ولم يكن التجمل بالمساحيق وما يؤدي مؤداها إلا نادراً جداً . وأكثر ما يكون ذلك في الأعراس ونحوها . وكان الإفراط فيه والمداومة عليه معيباً ، وكانت السيدة التي تلزمه موضع حديث السيدات وإنكارهن ، وكثيراً ما يتخذنها موضعاً للأسمار !

وكيفما كانت الحال ، فإن هذا الضرب من التبرج (أعني تلوين الوجوه) لم يكن ليؤذن به قط لفتاة ، بل لست أغلو إذا زعمت أنه كان منكراً من سيدة ليست ذات بعل ، وإن فتاة تعمل هذا لحرية حقيقة بإرسال الألسن وذهاب الأقاويل ، وإقفال بيوت الأشراف في وجهها ، وانقباض الخاطب دونها ، وتحرّجها شبابها !

* * *

والآن ، وبهذه السرعة السريعة ، لقد غزا عقائد هاتين الطبقتين وفتياتهما من أوروبا الخارجية [illegible] ونشوى الأقنعة فلا قناع ألبتة . وتشمير الثياب [illegible] حسرن عن الأذرع ، حتى لقد يبلغ الطرف إلى المنكب وأسفلها جميعاً . ولست ترى هؤلاء ، ولا هؤلاء ، بارزات في الطرق إلا كذلك ، وأما صقل العوارض وطلاؤها بالمساحيق البيضاء ، وصبغ الشفاه بالأحمر القاني أو الأحمر الضارب إلى الصفرة ، فلقد أصبح هذا وأمسى من ضرورات المشي في الطريق ، بل كاد يصبح وهي مما تعاب المرأة بتركه ، وتعيّر إذا هي تخلت عنه !

ولقد تصادفك البنت في الطريق ، وهي لا تتجاوز الثانية عشرة أو الثالثة عشرة ، وقد صبغت شفتيها بالأحمر صبغاً ، ولا أقول دهنتهما دهناً ! ولقد كثر ذلك وشاع وفشا حتى أمسى لا يلفت من الناس شيئاً من العجب ، وخاصة عند الناشئين الذين لم يشهدوا الأمهات والأخوات منذ بضع عشرات من الأعوام .

ولقد كان التيار جارفاً إلى حد أن سيدة لم تستطع أن تثبت في طريقه أو تثبت ابنتها ، وأن رجلاً مهما يكن (محافظاً) شديد الحرص على التقاليد ، لم يستطع أن يملك من جرف هذا التيار امرأته أو فتاته . بل إن ظهور المرأة اليوم في الطريق ملفقة مقنعة ، هو الذي يسترعي النظر وقد يستدعي العجب !

بل إنك لقد تجد في طريقك السيدة وقد أربت على الستين أو طعنت في السبعين ، أتى من شأن في الحجاب ، وتوارت في شتى الأفاق دهراً غير قصير . لقد تراهن اليوم سافرات الوجوه ، متنقبات ما أتى القص من شعر الرؤوس ، بارزات الأذرع والنحور ، مقصرات الثياب إلى ما يتجاوز أعلى السوق . وقد بالغن في التبرج والتجمل ألوان التصنع والتفنن !

والعجيب من الناس ألا يفهم أني أسوق هذا الكلام في وجه الإنكار ، أو أني أبغي وعظاً أو أطلب نصحاً . إنما [illegible] مؤرخ واصف لا أكثر ولا أقل . [illegible] ما كان في بعض أسباب عيشنا من ثلاثين عاماً فقط ، وما صرنا إليه بعد هذه الأعوام . وصفوة القول أننا في هذه المدة القصيرة جداً في مراحل تحول الأمم قد تطورنا تطوراً شديداً ، وتغيرنا تغيراً كبيراً . ومع هذا فإنه لم تستقر بنا الحال بعد إلى قرار !

* * *

وبعد ، فلقد أصبح من الواجب المحتم ، والحال ما ذكرنا ، أن يتشمر جماعة من مشيخة الكاتبين في تسجيل هذا التاريخ القريب في مدته ، وقد شهدوه وعاشوا فيه ، وعرفوا الجليل والدقيق من مظاهر الحياة في إبانه . وإلا عفت معالمه ، وامحت رسومه ، وعزّ على الناس بعد أربعين أو خمسين عاماً أن يتصوروه ويصوروه كاملاً واضحاً ، لأنهم لا يجدون إليه السبيل .

ولقد قلت : « القريب في مدته » لأنه أضحى بعيداً جداً

فى شخصه وصورته . وقد أحضرنى هذا المعنى قول متمم ابن نويرة فى أخيه مالك :

فلما تفرقنا كأنى ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

اللهم إنى أخشى ما أخشاه أن نتهاون قريب العهد بهذا العصر من التاريخ الذى نعيش أطرافه ، فيصرفنا هذا التهاون عن تدوينه وتسجيله ووصف مظاهر الحياة المصرية فيه . ثم يلتفت إليه أبناؤنا أنفسهم ، ولا أقول أحفادنا ، فلا يجدون فى المجالس وقبله إلا عبثاً كثيراً !

هذا عصر محمد على الكبير وما تقدمه بقليل ، ولا أمعن فى التاريخ متقهقراً إلى عهود المماليك ، والأمويين ، والفاطميين فى قبلهم . أقول : لولا بعثة الحملة الفرنسية ، ولولا الشيخ (ابن) الجبرتى ، لما عرفنا كثيراً من عادات الأجداد ، بل ما عرفنا ماذا كانت تلبس الجدات !

إن إهمال التاريخ القريب العهد [illegible] حقائق التاريخ ، وخاصة إذا ألحقته [illegible] الرجات والتطورات التى جدت بنا . ولابد أن [illegible] كل شىء من أخلاقنا وآدابنا وتقاليدنا وعاداتنا وسائر أسبابنا .

وإن من رحمة الله بهذا التاريخ القريب أن كان فيه (الفوتوغراف) يسجل الصورة ، وأن قام فيه (الفونوغراف) يسجل الأصوات ، وأن شاعت فيه الصحافة فسجلت أهم الأحداث . على أن هذا كله لا يغنى عن التسجيل البيانى يصف ما أغفلته تلك الوسائل ، ويعرض إلى ما لا تسلكه من مواطن الأشياء .

أرجو أن يشمّر بعض مشيخة الكاتبين لهذا ، تحقيقاً لأمانينا ، ورأياً لتاريخنا لا ينقطع عن هذه الفترة ، وتيسيراً لسعى المصلحين الاجتماعيين ؟

عبد العزيز البشرى

فى التاريخ السياسى المعاصر :

قناة السويس

فى مهب المطامع الدولية

لمحرر الثقافة السياسى

قناة السويس قناة مصرية تجرى فى أرض مصرية ؛ وكل ما هنالك أن مصر اضطرت فى ظروف خاصة أن تمنح حق استثمارها لشركة مالية أجنبية ، ينتهى عقد امتيازها سنة ١٩٦٨ أى بعد ثلاثين سنة ، ثم يعود استثمار القناة إلى مصر نفسها ، وتجنى مواردها وفق مشيئتها .

ولكن مصر [illegible] حينما أذنت بشق هذه القناة سنة [illegible] لتخدم الملاحة الدولية ، والتعاون فى [illegible] المواصلات البحرية لجميع الأمم ، أن وجود القناة سيغدو يوماً خطراً على سيادتها ، وأنه سيغدو بالأخص موضعاً للمنافسات والأطماع الدولية المختلفة ، حتى من جانب دول ليس لها بالقناة أكثر من صلات الملاحة العادية .

ولكن مصر لم تدخر جهداً للمحافظة على سيادتها الإقليمية فى منطقة القناة ، ولم تترك فرصة للتنويه بهذا الحق الطبيعى الواضح ؛ وقد ظهر ذلك جلياً فى مناسبتين تاريخيتين عظيمتين : الأولى فى سنة ١٩١٠ حينما رفضت الجمعية العمومية المصرية الموافقة على ما طلبته شركة قناة السويس من مد امتياز القناة لمدة جديدة ؛ والثانية حينما عقدت معاهدة الصداقة المصرية البريطانية فى أغسطس سنة ١٩٣٦ ؛ فقد نص فيها فى المادة الثامنة منها : « على أن قناة السويس جزء لا يتجزأ من مصر » ، وذلك بالرغم مما نصت عليه المادة نفسها من أن « القناة طريق عالمى

المواصلات ، كما أنها طريق حيوي للمواصلات بين أجزاء الامبراطورية البريطانية » ، وهو ما لا يتعارض مطلقاً مع كون مصر هي صاحبة السيادة المطلقة على القناة .

ومصر من جانبها لم تفكر يوماً في معارضة نظام الملاحة الحرة الذي تقرر منذ إنشاء القناة ، ثم تأيد بنص المادة الأولى من اتفاقية قناة السويس التي عقدت في الآستانة في أكتوبر سنة ١٨٨٨ بين بريطانيا العظمى وألمانيا والنمسا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا وهولندة وروسيا وتركيا ؛ وتنص هذه المادة ، التي تعتبر حتى اليوم دستور القناة الأساسي على أن قناة السويس « يجب دائماً أن تكون حرة مفتوحة في وقت الحرب والسلم معاً ، لكل سفينة تجارية أو حربية دون تفرقة بين الرايات ... » « وأن القناة لا يمكن أن تخضع مطلقاً لمزاولة حق الحصار » ؛ ومع أن انكلترا علقت يومئذ تنفيذ الاتفاقية « حتى وجوب اتفاقها مع ظروف مصر يومئذ » حتى لا [illegible] مصر ، فإنها عادت في سنة ١٩٠٤ ، [illegible] القناة أقرت فيه نصوص اتفاقية الآستانة بلا قيد ولا شرط .

وكان من أثر هذه الحرية المطلقة التي كفلتها المعاهدات للقناة ، أن استطاع الأسطول الروسي الذاهب لمحاربة اليابان أن يعبر القناة في سنتي ١٩٠٤ و ١٩٠٥ ، في حين أنه حرم المرور فيها قبل ذلك على السفن الحربية الإسبانية التي كانت ذاهبة لمقاتلة السفن الأمريكية في مياه الفيليبين سنة ١٨٩٨ ، وذلك قبل عقد الاتفاق الفرنسي الانكليزي .

وأن إيطاليا استطاعت في سنتي ١٩٣٥ و ١٩٣٦ أن ترسل جميع قواتها ومهماتها العسكرية لغزو الحبشة بواسطة قناة السويس ، دون أن يتعرض لها أحد ، وذلك بالرغم من الظروف الدقيقة التي كانت تحيط بهذا المشروع

* * *

والآن بعد أن افتتحت إيطاليا الحبشة ، وأعلنت قيام الامبراطورية الإيطالية ، وكشفت عن بعض مطامعها الاستعمارية بما أثارت أخيراً حول تونس وجيبوتي من مطالب ودعاوى ، تعود مسألة قناة السويس فتغدو مثار البحث والجدل مرة أخرى .

ذلك أن إيطاليا تنسب مطالب في شأن قناة السويس لم تحجم عن المجاهرة بها على لسان صحافتها ، وإن لم تتقدم بها بصفة رسمية ، وتتلخص هذه المطالب في وجوب إعادة النظر في دستور قناة السويس ، وفي إدارتها ، وفي رسوم المرور بها ؛ فالقناة يجب في نظر إيطاليا أن تغدو طريقاً دولياً ، ويجب أن تمثل إيطاليا في مجلس إدارتها تمثيلاً يتناسب مع أهمية مصالحها التجارية والاستعمارية ؛ ويجب أن تخفض رسوم المرور بها تخفيضاً معقولا .

وتدلل الصحف الإيطالية على ذلك بأن نسبة السفن الإيطالية التي كانت تمر في القناة قبل الحرب لم تكن [illegible] ، ولكنها ارتفعت منذ سنة ١٩٣٦ إلى عشرين في المائة ، وأن إيطاليا أصبحت من حيث مجموع السفن التي تعبر القناة في المرتبة الثانية بعد انكلترا مباشرة ، وأصبحت تتفوق في ذلك على فرنسا ، وألمانيا ، وهولندة .

وأنها مع ذلك ، ومع ما تمثله مصالحها الاستعمارية بعد فتح الحبشة من الأهمية والخطورة ، لا تزال محرومة من الاشتراك في إدارة قناة السويس ، مرغمة على أداء الرسوم الفادحة التي تفرضها شركة القناة وفق مشيئتها .

تلك هي النظرية الإيطالية الجديدة في شأن قناة السويس ؛ بيد أن هذه المطالب التي تصطبغ في الظاهر بالصبغة الاقتصادية تنطوي من جهة أخرى على اعتبارات سياسية وعسكرية لا تخفى ؛ وهذه الاعتبارات ليست في الواقع إلا جزءاً من المشكلة الامبراطورية العامة ، أو مشكلة

التنافس الدولي على السيادة في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر.

وإيطاليا تشعر منذ فتح الحبشة، أن امبراطوريتها الجديدة في شرق أفريقية لا يمكن أن تكفل سلامتها بصورة مرضية، ما دامت بريطانيا العظمى قابضة بواسطة محالفتها مع مصر على قناة السويس على البحر الأحمر من الشمال، وعلى مضيق باب المندب من الجنوب، وترى أن القناة كما أنها طريق امبراطوري لبريطانيا وفرنسا وهولندة يجب أيضاً أن تكون في الوقت نفسه طريقاً امبراطورياً إيطالياً.

بل يرى بعض الغلاة من الساسة الفاشستيين أن إيطاليا أحق الدول بالسيطرة على قناة السويس، لأن بريطانيا وفرنسا وهولندة تستطيع كل منها أن تتخذ إلى مستعمراتها طريق «الكاب»، بينما ترى إيطاليا نفسها مضطرة إلى الاعتماد على طريق قناة [illegible] وهؤلاء الغلاة هم أصحاب الفكرة القائلة بوجوب [illegible] إيطاليا في الحكم من القناة مع انكلترا، وهي فكرة أذاعتها الصحافة الإيطالية في أثناء الشهر الماضي لمناسبة عقد الاتفاق الانكليزي الإيطالي، ولكنها لم تلق بالطبع صدى يذكر.

* * *

تلك هي المطالب والأماني الإيطالية في شأن قناة السويس، وتلك هي الاعتبارات الظاهرة أو الخفية التي تستند إليها.

وأول ما يلاحظ في شأن هذه الأماني أنها تغفل حقيقة هامة، هي أن القناة ملك لمصر، وأنها تخترق أرضاً هي جزء لا يتجزأ من المملكة المصرية، وأن لمصر الكلمة الأولى والأخيرة في كل ما يتعلق بمصير القناة ذاتها.

فالقول بوجوب اعتبار القناة طريقاً دولياً للملاحة لا يمكن الأخذ به، بل لا يمكن أن يكون موضوع مناقشة، والأحرى بنا أن نعتبر هذا القول فيما يتعلق بقناة «بناما» الأمريكية، وقناة «كيل» الألمانية، وقناة «كورنث» اليونانية، وقناة «سيتي» الفرنسية، وهذه مما لا يمكن أن [illegible] أية دولة تعرض إلى سيادتها وسلامة أراضيها.

وأما وجوب إعادة النظر في دستور القناة وفي إدارتها وفي رسوم المرور بها، فيلاحظ أولاً أن امتياز القناة ممنوح لشركة مالية ذات أسهم، وأن منشئها الكونت دي لسبس منشئ القناة، أصدر حين إنشائها ٤٠٠ ألف سهم عرضها للبيع في جميع البلدان، فاشترى الفرنسيون منها ٢٠٨ آلاف سهم، واشترى خديو مصر المغفور له إسماعيل باشا ١٧٧ ألف سهم، بيعت فيما بعد إلى الحكومة البريطانية بنحو أربعة ملايين جنيه، ولم يشتر الإيطاليون من الأسهم سوى ٢٧١٩ سهماً. وأما اليوم فأسهم شركة القناة [illegible] نحو ٨٠٠ ألف سهم يملك الفرنسيون منها [illegible] ٤٤ ٪

ويتألف مجلس شركة القناة الآن من ٣٢ عضواً منهم تسعة عشر فرنسياً، وعشرة من البريطانيين، وعضوان مصريان، وعضو هولندي، ومجلس الإدارة هو الذي يتولى النظر في شئون القناة وتقرير رسوم المرور وغيرها، كما يتولى مجلس إدارة أية شركة مالية أخرى شئونها الإدارية والمالية.

وأما عن حركة المرور في القناة فيلاحظ أن الملاحة الإيطالية كانت قبل الحرب الحبشية في المؤخرة، ولم تتقدم نسبة مرور السفن الإيطالية في القناة إلا أثناء الحرب الحبشية، نظراً لما اقتضته الاستعدادات العسكرية من إرسال الجند والذخيرة والمؤن؛ وقد أخذت هذه النسبة الآن في الهبوط بعد استقرار الأمور نوعاً في الحبشة، وهذا تعمل إيطاليا الآن في تحقيق غايتها قبل أن تهبط هذه النسبة إلى المستوى العادي.

وإيطاليا بالرغم من كونها تستند مطالبها إلى اعتبارات اقتصادية ترى أن تتقدم بها من الطريق السياسي ، لأنها لم تخش من أن تطغى إدارة القناة . وهو تخشى في الحقيقة أن تشتد الأزمة ، أن توافق في أي من مطالبها ، لأنها لا تشاطر في رأس المال بأي قسط يسمح لها بإبداء الرأي فضلاً عن إملائه .

* * *

وأما عن موقف مصر ، وهو الذي يجب أن يحسب حسابه في كل ما يتعلق بشئون القناة الجوهرية ، فهو واضح كل الوضوح ، فمصر لا تستطيع أن تقر أي تصرف من شأنه أن يمس حقوقها في السيادة على منطقة القناة التي يجب أن تظل مصرية مهما كانت الظروف والأحوال ، أو يمس مستقبل القناة ذاتها ، لأن إدارة القناة ستعود إلى مصر في المستقبل القريب ، ويجب أن لا تحرم مصر شيئاً من ثمرات ملكيتها للقناة متى عاد إليها ميراثها .

والذي نعتقده في ذلك هو أن الحكومة المصرية [illegible] هذه المناسبة لم تدع أن تلفت نظر الدول إلى تمسك مصر بجميع حقوقها في السيادة على القناة ، وفي كل ما يتعلق بإدارتها .

والمفهوم من جهة أخرى أن مطالب إيطاليا في شأن القناة كانت ضمن ما تناولته محادثات روما الأخيرة بين السنيور موسوليني ومستر تشمبرلن ؛ ولكن هذه المحادثات لا يمكن إلا أن تكون تمهيدية ، ولا يمكن الآن أن يقطع في شأنها بشيء واضح ، لأنها ليست كما قلنا إلا جزءاً من المشكلة العامة المتعلقة بمطالب إيطاليا الاستعمارية ، وحلها ليس متوقفاً على رأي إنكلترا وحدها ، بل هنالك فرنسا التي يتجه إليها أعظم قسط من هذه المطالب ، ولا بد لنا من أن ننتظر قليلاً لنرى إلى أي حد يمكن أن تسير .

* * *

مطالعات أشتات

على هامش العلوم

٢ – الصوف

للدكتور أحمد زكي بك

في هذا البرد القارس ، لم أجد موضوعاً أشهى من الحديث في الصوف ، ومن الأحاديث ما يُحلّ

في اللغة : الصوف للشاء كالشعر للمعز .

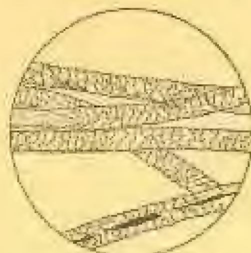
وشعرات الشعر تراها في العين مستطيلة كالقمر ، [illegible] الصوف [illegible] مموجة ، وتراها الشعر [illegible] ومنها [illegible] . وقد [illegible] الشعرة ، وقد تتداخل وقد تتشابك ، وقد تتمدد وتنكمش ، وقد تتخطط وتتراكب بعضها بعض كقشر السمك . وقشر السمك تسميه العرب حَرشفاً ، وواحدته حرشفة . والشكل حيوان ذي شعر أو صوف تعرضه الطبيعة ، ومنها يستدل عليه



شعرات الإنسان وبعض أنواع الفروة كما ترى تحت المجهر : الشعر للإنسان والأخريات للفروة

غير أن الصوف يمتاز بتسقطه التراكب بعضه على بعض ، وبكثرة هذا التسقط ، فقد يبلغ ٤٠٠٠ سقطة في البوصة الواحدة في الصوف القليل القصير ، ومتوسط ما يبلغه في الصوف الطويل ٢٠٠٠ . وهذا التسقط هو الذي يمكن الناس من نسجه وغزله ، إذ لولاه لانسلت الشعرات عند الشد بعضها عن بعض عن تماسك ، وتختلف

هذا التسطح في نوعه ومقداره باختلاف أنواع الشاء ومصادر الأصواف .



شعرتان من صوف كما تتراءيان تحت المجهر بعد نزع ما عليها من الدهن . مكبرة نحو ٢٥٠ مرة

وسبب هذا التسطح أن الشعرة تنمو على نحو معروف من جذورها ، فلو أنها خرجت بانتظام واستمر نموها على نحو واحد لكانت كالفضة الملساء ، ولكنها [illegible] دفعات من تحت الجلد وهو ما [illegible] عليها من تجاعيد ذات أشكال [illegible]

وشعرات الصوف متموجات على طولها تساعد على غزله ، وعدد هذه التموجات يختلف باختلاف أنواع الصوف ، وعددها في البوصة من الصوف القصير الرقيق يبلغ نحو ١٥ موجة ، وقد يبلغ في الصوف الطويل الغليظ موجتين أو ثلاثاً . ولهذا التموج خطره ، فهو سبب مرونة الصوف . فإذا أنت شددت الصوف تمدد ولم تنقطع شعراته ، وإنما تنبسط موجاته ، فإذا أرخيته عاد إلى سابق طوله . ومن المواد الكيماوية ما يفسد هذه المرونة فتنقضي الموجة فلا يعود إلى طوله .

وطول الشعرات يختلف باختلاف الأنواع كذلك ، فالصوف القصير يبلغ طول شعرته من ٦ إلى ٧ سنتيمترات ، أما الطويل فيبلغ فيه طول الشعرة من ٢٥ إلى ٣٠ سنتيمتراً .

والصوف يدق ويغلظ ، فالأنواع الرقيقة يبلغ قطر الشعرة فيها نحو ١٦ جزءاً من ألف جزء من المليمتر ، والأنواع السميكة يبلغ قطر الشعرة فيها نحو ٥٠ جزءاً .

وتعلق الشعرة من الصوف القصير الرقيق من ثلاثة جرامات إلى خمسة قبل أن تنقطع ، وتحمل الشعرة من الصوف الطويل من ستة جرامات إلى اثني عشر جراماً ، ويبلغ وزن ما تحمله الشعرة من بعض الأصواف الانجليزية ثلاثين جراماً

ولون الصوف الغالب هو البياض ، ولكن يوجد منه الأسود والبني والأصفر والأحمر [illegible] والصناعة تطلب الأبيض ، ولكن بعضهم يطلب الألوان الطبيعية الأخرى إذ يغزلونها للأنسجة الخشنة كالشيلان والأقمشة الاسكتلندية Highland tweeds . وهذه الألوان تثبت عند الغسل [illegible] من تدرج الأحماض والقلويات ، ولكنها [illegible] في ضوء الشمس

[illegible] الشعرة [illegible] الطبيعة [illegible] ، وإذا [illegible] كما تقطع جزرة أو موزة ، [illegible] تحت الميكرسكوب مكونة من طبقات ثلاث ، أوسطها الطبقة الداخلية ، ويحوطها الطبقة القشرية ، وهذه يحوطها الطبقة الخارجية المسطحة .

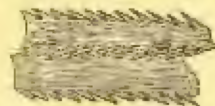


قطاع مستعرض من شعرة صوف كما تتراءى تحت المجهر ، إلى هو الخارج ، هي الطبقة المسطحة ، والطبقة السميكة التي تليها ذات الخلايا السكينية هي الطبقة القشرية

والطبقة النخاعية قد تتسع حتى تبلغ ربع قطر الشعرة أو ثلثها ، وهى فى أغلب أجزائها من الشعرة قد تضيق حتى تنعدم ، وقد تتكون ثم تنعدم ثم تتكون فى الشعرة الواحدة فتظهر صورتها كأنها من جزر متقطعة . وقد تخلو من هذه الطبقة النخاعية خلايا ، وقد تحل محلها ويحل الهواء محلها . وهى من الشعرة مادة تجرى فى عصارتها ، وهى مستقر المادة الملونة فى الصوف الطبيعى ، فلا تتغير هذه المادة أكثر من غيرها تحت المجهر . وقد تتقمص هذه المادة فتلون كذلك خلايا الطبقة القشرية ، وعندئذ تجد هذا فى الصوف ما بين البنى والأسود ، أى حيث تتحقق الألوان . أما الطبقة الثالثة الخارجية السطحية فهى قرنية شفافة لا تقبل اللون .

ولهذه الطبقات الثلاث خطرها فى الصناعة . فالطبقة السطحية لا تشرب الصبغة ، والصبغة لذلك تعبر الشعرات من خلالها ، ثم تجرى فيها تشق الطبقة القشرية وتستقر فيها ، وتكون هذه الطبقة مستودع اللون غالبًا .

والصوف يقبل التلبد قبولاً كبيرًا ، فتخرج من لبده أثواب ذقيقة لا مغزولة ولا منسوجة . وشعرات الصوف فى الثوب اللبد يتلبك بعضها ببعض فى غير نظام ولكنه تماسك قوى . ولهذا التماسك أسباب : منها ما على الشعرات من سقط هذا تتماسك حروفه فى الشعرات



صورة توضح كيف تتشابك حروف السقط بين الشعرة والشعرة عند تلبد الصوف

فتتماسك . ويزيد حروف هذا السقط تبرزا فعل الأحماض والقلويات وكيماويات أخرى ، حتى حرارة الماء . وسبب آخر للتلبد هو ما بشعيرات الصوف من تموجات تعين على تلويها بعضها فى بعض . وسبب ثالث هو تركيب الطبقة السطحية نفسها ، فهى قرنية من نوع يطرى بامتزاج بعض الماء والحرارة والضغط ، وهى مجتمعة جميعها فى عملية التلبد ، فتلاصق الشعرات بعضها ببعض وتتلاحم عند البرد وزوال الضغط .

والصوف أكثر امتصاصًا لرطوبة الهواء من القطن والحرير وغيرها من ألياف النسيج ، وهو يستطيع أن يمتص من الماء فى جو مشبع به نحوا من ثلث وزنه . ولهذا فعل خطير فى التجارة لا بد من ضبطه وإلا بيع الماء بثمن الصوف . كذلك لا بد من تقديره وتقديره فى الصناعة ذاتها ، فرطوبة الألياف تغير من خواصها الطبيعية تغييرًا كبيرًا .

والصوف الخام إذا جز من الشاة يحمل فى أجزائه عددًا من الدهن ... ... من الشوائب من الشوك والقش والتراب ، ويفرق فى ... نسبتها ... من الأغنام ... وقد يبلغ دهن الصوف قد يبلغ نحوًا من ... فى المائة من وزنه . ومن أجل هذا كان الصوف دسم اللمس فى بلاده . وأول تحضير الصوف للنسج غسل هذا الدهن عنه بالصابون .

وللصوف بريق يهم الصناعة والناس جميعًا . وهذا البريق يشتد فى بعض الأصواف الطبيعية ويضعف فى بعضها ، ومرجع هذا إلى سقط الشعرات . فالشعرات ذات السقط الكثير تنال هذه الكثرة من صغر حجمها ، وقلة سطحها فيقل بذلك ضوء الشمس المنعكس من سطوحها . وهذا يحدث فى الصوف القصير الشعرات . أما طويلها فيعكس الكثير من الضوء من سقطاته الواسعة فيلمع ويشتد بريقه .

ويتركب الصوف من عناصر مختلفة ، أكثرها الكربون أو الفحم ، ثم يأتى بعده الأكسجين فالأزوت فالإيدروجين فالكبريت . والذى يلاحظ فى هذا التركيب كبر نسبة

الأزوت فيه حتى تبلغ نحو ١٩ في المائة من وزنه . فإذا أحرقت قطعة منه انطلق الأزوت في الأنف في صورة عند النشادر ، ثم تتجعد القطعة وتتقلص وتتكوّن كرات من الفحم المتقد ، وهي تحترق ببطء ولكنها لا تشتعل أو لا تكاد ، وتخرج منها رائحة كرائحة الريش المحروق . وهي في اشتعالها تخالف فتائل القطن — وعناصرها الكربون والأكسجين والإدروجين — فهذه تشتعل اشتعالاً سريعاً في لهب كبير وضاء ، ثم لا يبقى من الفتائل إلا رماد لا يستقيم رأي الأعين

والماء الغالي يؤثر في الصوف ، ولا سيما إن طالت مدة غليه به ، فهو ينحل بذلك بعض الشيء ، ويفقد شيئاً من متانته

والصوف يقاوم الحوامض ، وهو في أن [illegible] لا يحو تنقص شيئاً من [illegible] . ولكنه لا [illegible] القلويات كالصودا الكاوية ، فإذا [illegible] الصوف في محلول مخفف من الصودا الكاوية [illegible] فيه خمسة جرامات أو ستة من الصودا ، ذهب الصوف كله في بضع دقائق (القطن لا يفعل ذلك) ، ومن هذا يتضح السبب في النصيحة التي تهدى دائماً في غسل الصوف : أن يغسل بالصابون الذي ذي القلوية القليلة ، وأن لا يغلى به ، ولا سيما فيما يختص بالأنسجة الرقيقة الثمينة

وقد تقضت قرون عديدة والناس تحيى من الحياة ما تجود به من صوف تقدر الطبيعة وبقدر ما تأذن به التقلبات الوراثية في تربية الماشية . ثم تقدم العلم رويداً رويداً فصادفنا منابع النجاح ، فعلمنا أننا نستطيع بتخليط الأنساب بين السلالات من قطعان مختلفة الأوطان والأحوال أن نزيد في لحم الشاة إن أردنا لحماً ، أو نزيد في جودة شعرها إن أردنا صوفاً . وأن نخالف ونبادل بين الأنساب بطرائق مرسومة وقوانين معروفة لنحصل من صوفها على رقته ونعومته إلى أن نريده رفيعاً ناعماً ، أو قوته وخشونته إن أردناه خشناً قوياً ، أو الوسط بين هذا وذلك إن شئناه وسطاً . ولكل من هذه الأجناس مطالب في الصناعات . وبهذا التهجين انتشرت الشاة في أراض لم تكن تعرف الأظلاف ، وطاب لها العيش في أجواء لم تكن تطيب لها ، فيها الجاف والمطير والحار والبارد والجبلي والساحلي . وبهذا التهجين انتقلت تجارة الصوف ، وانتقل مركز ثقلها من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب

ففي استراليا اليوم من الأغنام مائة وعشرون مليوناً أو تزيد ، وهي أولى الأمم التي تنتج الصوف ، ولم يكن بها منه شيء يذكر منذ قرن ، وفي أمريكا الجنوبية خمسون مليوناً أو تزيد ، وفي الولايات المتحدة أربعون مليوناً ، وفي ولاية [illegible] أفريقية نحو من ثلاثين مليوناً ، ومثلها في الجزر البريطانية ، ونحو من مائة وستين مليوناً في سائر القارة الأوروبية [illegible] السلالات أغراب في مواطنها الحاضرة [illegible] كثرها وأجودها به الدم المرينو بما يعرف من تقنعات الجلد ورائحة القرية

ذلك أن العرب لما عبروا البحر إلى الأندلس حملوا معهم من أغنامهم قطعاناً حلت في البلاد الجديدة المحل خصباً ، فتناسلت وتكاثرت ، وطال صوفها مشهوراً من بعد ذلك في أوربا جميعها . وصارت إسبانيا مصدر الصوف الناعم الذي تنسج منه الملابس الجيدة في أمم الغرب ، وظلت كذلك قروناً . ونتج عن هذا أن الحسن أعطى هذه الأمم إلى إدخال تلك الأغنام إلى بلادها ، فأدخلت في سكسونيا في عام ١٧٦٥ ، وأدخلت في بلاد المجر عام ١٧٧٥ وفي فرنسا عام ١٧٧٦ ، وفي الولايات المتحدة عام ١٨٠٩ . وفي هذه البلاد خلطت هذه الأغنام الغريبة بأغنام تلك البلاد خلطاً مدروساً مقدراً ، فأنتجت أنسالاً من هنا أخرى حملت أصوافاً أجود كثيراً مما عرفته تلك البلاد

قبل ذلك . وأخيرا عرفت الأمم الأسبانية بالأغنام المرينية Merino



شاة مرينية [illegible]

حتى إنجلترا ، وكان العقل المقدم للصوف [illegible] ، ولكنها اضطرت أخيراً إلى تشجيع تنشئة الغنم المريني ؛

أدركت إنجلترا من قديم الدهر [illegible] ولكنها تبيعه مسافة [illegible] في الفلمنكيين من وراء البحر ، وجعلته تنسج من [illegible] فصدرته إلى البلاد الأوربية ، وكانت أثمنها غالية [illegible] غزير ، وحصلت على مصدره ضريبة ساعدت في الأيام مصدراً كبيراً لدخل التاج . وزاد الانتاج منه في تلك الحرف على المنسوجات فيما قبل سعره ، ولكنهم صمدوا على منعه من الخروج . واضطر شارل الثاني في القرن السابع عشر أن يزيد في استهلاكه بالحل ، فأصدر قانوناً يحتم على الناس أن يكفنوا موتاهم في أكفان من صوف . ولما جاء القرن الثامن عشر وجب الحكم كان في انجلترا نحو من ١٢٠٠٠٠٠٠ من الشاة درّت عليها من المنسوجات الصوفية ما قدرت قيمته ١٢٠٠٠٠٠٠ من الجنيهات ، وشغلت من رجالها مليون عامل . ومع كل هذا الاعتزاز بالصوف المحلي ، ومع كل هذه القوانين الشاحة التي أصدرتها دفاعاً عنه ، ومع ازدهار التجارة ووفرة الخير ، لم تعد إنجلترا بداً في آخر الأمر من الالتجاء إلى الشاة المرينية ، أو كما أسموها الجربوية ، لأن الأمم الأخرى [illegible] صوفها وطاب ووافى . فبدأت أول الأمر باستيراد الصوف المريني ، وبلغ ما استوردته من اسبانيا عام ١٨٠٠ نحواً من ستة ملايين من الأرطال . ولكنها خافت من أن يطرد الوارد من اسبانيا الأهلي من حمله ، فرأى جورج الثالث (١٧٦٢ — ١٨٣٠) أن يستحضر من اسبانيا عوضاً عن الصوف عدداً من أغنامها المرينية . ولكنه لم يلبث أن وجد أن أراضي انجلترا وجوها لا يصلحان لتربية المريني الخالص ، فزهد فيها من تجربته الأولى . واستمر التهجين فتحقق للشياه الانجليزية ، حتى نتجت أنواع تلائمها واستطاعت العيش في البلاد المعتدلة ، واستطاعت انجلترا بذلك أن تضيف إلى ثروتها الأهلية حاصلاً من الصوف راقية

أحمد زكي

صور من التاريخ الإسلامي :

زياد بن أبي سفيان

للأستاذ عبد الحميد العبادي

— ٢ —

كانت دعوة معاوية زيادا في سنة ٤٤ هـ ، وسرعان ما عرضت الظروف التي رأى معاوية أن ينتفع فيها بكفاية أخيه الجديد ومواهبه . ذلك بأن البصرة قد اختلت أمورها اختلالا كبيرا ، فكثر في نواحيها عبث الخوارج ، والتلصص وقطع الطريق ، وفشت في أهلها عادة [illegible] التي تلحق الجماعة البدوية متى انتقلت طفرة إلى الحضارة والترف ، فكثر الفسق وشاع المجون [illegible] تعصب القبائل بعضها على بعض ، مما [illegible] جاهلية إلى حد بعيد . ولقد عجز من ولاة [illegible] البصرة عن إصلاح تلك الحال ، وأصبحت الحاجة ماسة إلى رجل حازم عليم بالسياسة والإدارة يضع الأمور في مواضعها ، ويرد فساد تلك المصر إلى صلاح . ولم ير معاوية أقدر على الاضطلاع بذلك العبء الجسيم من زياد ، فولاه في سنة ٤٥ على البصرة وخراسان وسجستان ، ثم جمع له السند والبحرين وعمان ، والمراد بالسند هنا [illegible] وما إليها

رأى زياد أن الحال تقتضي حزما وعزما وشدة في بعض المواطن وصرامة ، ولكنه جهد في أن يعمل بالسياسة العمرية القديمة ، سياسة الشدة في غير عنف واللين في غير ضعف ، وإن يكن قد طبقها تطبيقا حرفيا دقيقا في حالات معدودة قصد الإرهاب وإلقاء الرعب في نفوس المفسدين . وقد وضع لسياسته دعائمها أولا في خطبته البتراء التي خطب الناس بالمسجد الجامع لأول دخوله البصرة . فقد أعلن عزمه على هدم المواخير وقتال الفساد ، فقال : « ما هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير قليل ؟ حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدما وإحراقا » . ونهى عن دلج الليل حيث كان يكثر على أيدي المتلصصة وقطاع الطرق من الأعراب وذلك في قوله : « وإياي ودلج الليل فإني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه » . ونهى عن دعوى الجاهلية منعا لتعصب القبائل بعضها على بعض : « وإياي ودعوى الجاهلية ، فإني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه » وأعلن تضامن الناس في حفظ النظام : « وإني أقسم بالله لآخذن الولي بالولي ، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدبر ، والصحيح منكم بالسقيم ... أو تستقيم لي قناتكم » . إلا أن زيادا وإن كان قد شدد الوطأة على أصحاب الريب والفساد فقد سكن خواطر الصلحاء وجهد [illegible] عنه : « فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا ومن كان مسيئا فلينزع عن إساءته » ثم بين لهم [illegible] : « واعلموا أني مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقا بليل ، ولا حابسا رزقا ولا عطاء عن إبانه ، ولا مجمرا لكم بعثا . أيها الناس ... لنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا » .

وكان زياد عند قوله ، فلم ينطق عليه أحد بكلمة ، ولقد أنفذ وعيده هذا في حالات تعد على أصابع اليد الواحدة ، بقصد الإرهاب ، لا حبا في سفك الدماء ، فاستقامت أمور البصرة ، ولم يتم له ذلك حتى ضبط الأمن في نواحيها ، فتتبع كل فئة من فيها من الخوارج ، فكسر شوكة هذه الفرقة العاتية ، وعم الأمن أطراف البصرة ونواحيها حتى قال زياد : « لو ضاع حبل بيني وبين خراسان لعرفت من أخذه » .

* * *

ولقد بلغ من ضبط زياد البصرة وإحكامها أنه لما توفي المغيرة بن شعبة في سنة ٥٠ هـ لم يتردد معاوية في ضم إمارة الكوفة وأحكامها إلى زياد

كان الخطر بالكوفة آتياً لا من قبل أهل الريب والفساد والخوارج ومنتحلي القتال كما كانت الحال بالبصرة ، ولكن من قبل الشيعة الذين كانوا لا يعترفون بسلطان معاوية والذين وجدوا في أمر علي حجة على دعواهم وفرصة لإعلان معارضتهم وسخطهم ، فكانوا يقابلون ذلك بلعن معاوية وعماله والترحم على أبي تراب ، ولقد رأى معاوية فيهم خطراً جوهرياً على حكمه فأمر المغيرة بن شعبة بتعقبهم

وكان المغيرة بن شعبة في أخريات حياته رجل رفق ولين وإيثار للعافية ، فكان يكتفي من الشيعة بالإخلاد إلى السكون وعدم مخالفة الجماعة ويدعهم بعد ذلك يقولون ما شاءوا . فلما أسندت ولاية الكوفة إلى زياد [illegible] الوطأة على رؤساء الشيعة حجر بن [illegible] ما بينه وبينهم من صداقة قديمة ، إيثاراً [illegible] واجبه نحو الحكومة التي يخدمها . ولما أصر [illegible] سلطانه والمجاهرة بلعن معاوية وعماله والترحم على علي ، قبض على حجر بن عدي وبضعة عشر رجلاً كانوا زعماءهم ، واستشهد نفراً من وجوه أهل الكوفة على أن حجراً وأصحابه قد خالفوا الجماعة وخلعوا عصا الطاعة ، ثم بعث بهم وبالشهادة عليهم إلى معاوية . وهنا يتورط هذا السياسي الحاذق في الأمر ويضيق بهؤلاء النفر حلمه المشهور ، فيأمر بقتل ستة منهم فيهم حجر بن عدي ، فقتلوا صبراً بمرج عذراء بظاهر دمشق سنة ٥١ هـ

وهدأت أحوال الكوفة على أثر ذلك إلى حد أن استطاع زياد أن يكتب إلى معاوية يقول : إني قد ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة ، يعرض برغبته في أن تضم إليه الجزيرة ، لا الحجاز كما ورد في بعض الروايات ، فضم إليه معاوية الجزيرة وما إليها

ولم تطل حياة زياد بعد هذا الحادث فقد أصابه الفالج وتوفي في رمضان سنة ٥٣ هـ ، ودفن بالثوية بظاهر الكوفة

* * *

تلك صورة عامة لحياة زياد السياسية . ومنه نرى أن زياداً كان سياسياً حازماً يعرف مواضع الشدة ومواضع اللين ، ويلبس لكل حال لبوسها ويداوي كل داء بدوائه ، وقد أخذ ذلك عن الخليفة الثاني ، وكان يتأثره ويحب سماع الحديث عنه ويعمل بسنته ويقتفي أقضيته

وأياً ما كانت الحال فقد جبل زياد على أداء الواجب والإخلاص لمصلحة الدولة ، ولا أدل على ذلك من موقفه من معاوية عندما أراد أخذ البيعة بولاية العهد لابنه يزيد ، فقد رأى زياد أن الأمر جد خطير ، وأن واجبه نحو الإسلام والسلطان يحتم عليه ألا يمضي معاوية على عزيمته ، فكتب إليه [illegible] بما فيه من التريث وعدم العجلة ، وحسب [illegible] معاوية لم يخط الخطوة الأخيرة في هذا [illegible]

[illegible] في أمر ذلك السياسي الذي عاش في أيام فتن واضطراب ونقلة من عصر النبوة والخلافة إلى عصر الملك والسياسة : أخذ بالحزم ، وأداء للواجب ، ونصح لولي الأمر . ومع ذلك فثم روايات تصور زياداً طائش السيف سفاكاً للدماء بغير حق ، فتزعم أنه قتل الأبرياء بالبصرة ، وأنه قطع أيدي ثمانين أو ثلاثين رجلاً حصبوه وهو على المنبر بالكوفة ، وأنه دفن رجلاً من أصحاب حجر حياً . إن هذه الروايات وأمثالها مبهمة لأنها صادرة عن رواة الشيعة المنحرفين عن بني أمية ومواليهم من الناس الذين قضوا على الدولة الأموية . وإلا فكيف نتصور أن يقال زياد بإجماع الأخيار من الأئمة المهديين عمر وعثمان وعلي ، وثقة خاصتهم به وأبي موسى وابن عامر وابن عباس ، وأصحاب الفرس وولاتهم ، ثم ينقلب بمجرد وضعه يده في يد معاوية سفاكاً سفاحاً ؟ ألا إن

حسب الوضع والأشخاص أو المناسبة في أقل تقدير واتسع في تلك الروايات من غير مراء .

* * *

وكما كان زياد سياسياً حازماً ، فقد كان إدارياً بارعاً . لا يكاد يلحق به في ذلك الميدان من رجال العصر الأول إلا القليل . والظاهر أنه أتقن صناعة الإدارة أثناء عمله بفارس للإمام علي وذلك بمباشرته الدهاقين وسماعه أخبار الأكاسرة الأولين . عني بعمارة فارس والعراق : فأما فارس فقد علم أن الساسانيين كانوا يعفون من الناس كل عشر سنوات خراج سنة فاقتدى بهم في ذلك فعمرت فارس عمارة عظيمة ، وأما العراق فعرف من أول الأمر أهمية الري بالنسبة له ، فحفر عدة أنهار ، منها نهر معقل ونهر الأبلة ونهر دبيس ، وأكثر من الأقطاع وإحياء الموات . قال المدائني : « وكان يقطع الرجل القطيعة ويدعه [illegible] فإن عمرها وإلا أخذها منه » .

وقد عمر العراق لعهده عمارة عظيمة ، وفي البلاذري : أن جباية كور البصرة على عهد زياد بلغت ستين ألف ألف درهم ، كان يرسل منها إلى معاوية أربعة آلاف ألف فقط ، وينفق الباقي في أعطيات الجند وعامة ضروب الإصلاح . وبلغت جباية كور الكوفة على عهده أربعين ألف ألف درهم كان يرسل منها إلى معاوية أقل مما يرسل إليه من جباية البصرة ، وينفق ما تبقى في مختلف شؤون الكوفة .

وعني بأمر الأسواق ، فكان يراقب الأسعار مراقبة دقيقة متوخياً مصلحة الجمهور في ذلك . قال المدائني : « غلا الطعام على عهد زياد ، فبعث إلى التجار ألا تبيعوا [illegible] ، وقال زيدوا ربحاً ربحاً ، فلما رخص الطعام ارتفع [illegible] » . وربما تنكر ونزل إلى السوق واختبر الموازين والمكاييل بنفسه ، وكان يوقع العقوبة الرادعة على من يطفف كيلاً أو يخسر ميزاناً .

وعني الشرطة كلها بالشرطة والجند ، فاتخذ حرساً مؤلفاً من خمسمائة رجل لا يبرحون المسجد ، وجعل الشرطة ٤٠٠٠ رجل ، وبلغت مقاتلة البصرة في زمنه ثمانين ألفاً ، ومقاتلة الكوفة ستين ألفاً . وجعل جند البصرة أخماساً وجند الكوفة أرباعاً ، مازجاً بين القبائل المتباعدة الأنساب ليؤلف بينها ، ويضعف من تعصب بعضها على بعض . وولى على كل خمس أو ربع رجلاً من قبل الحكومة بدل سيد القبيلة كما كانت الحال من قبل ، ونقل إلى خراسان خمسين ألفاً من عرب المصرين ، وجعلهم أرباعاً على نظام جند الكوفة ، فكان ذلك بدء استقرار العرب بتلك الأنحاء . وكانت أعطيات الجند وأرزاقهم وأرزاق عيالاتهم تصرف إليهم من دار الرزق في مواعيد معينة من السنة ، وأكثر ما كان ذلك في المحرم ورمضان .

وفي البلاذري أن زياداً سأل أحد جلسائه فقال : [illegible] في وقته وأن الأعطيات والأرزاق [illegible] من الناس إلى شهر معلوم ؟ قال : بلى . قال : فلله الحمد ! لا يزال الناس بخير ما كان أمرهم هكذا .

وكان زياد شغفاً بالبناء مع ذوق فيه وحب للنظافة العامة ، بنى بالبصرة دار الإمارة وهدم مسجدها ، وكان من القصب ، فوسعه وبناه بالآجر والجص وسقفه بالساج ، ونقل أساطينه من جبل الأهواز ، وأنشأ به المقصورة ، يدخل إليها من دار الإمارة مباشرة دون أن يتخطى الناس . ويروى أنه حين بنى المسجد ودار الإمارة جعل يطوف فيهما وينظر إلى البناء ثم يقول لمن معه : أترون خللاً ؟ فيقولون ما نعلم بناء أحكم منه ! فقال : بلى ! هذه الأساطين التي في كل واحدة منها أربعة عقود ، لو كانت أغلظ من سائر الأساطين . قالوا ولم يؤت من تلك الأساطين قط تصديع ولا عيب . وقد قال شاعر من شعراء ذلك الوقت في متانة بناء ذلك المسجد :

بنى زياد لذكر الله مصنعة
من الحجارة لم تعمل من الطين
لولا تعاون أيدي الإنس ترفعها
إذاً لقلنا من اعمال الشياطين

وكذلك وسع مسجد الكوفة واتخذ به مقصورة وفرش تحته وبعض مسجد البصرة بالحصباء حتى لا تترب أيدي المصلين

وقال المدائني : كان زياد يأخذ صاحب كل دار بعد المطر إذا أصحت ربع ما بين يدى فنائه من الطين فمن لم يعمل أمر بذلك الطين فألقى في بيته . ويأخذ الناس بتنظيف طرقهم من القذر والكناسات ثم إنه اشترى عبيداً ووكلهم بذلك

وكان زياد يعني بتطهير الرعى للخاصة والعامة على السواء . كان يشتو بالبصرة ويصيف بالكوفة وكان له مجلس بحضرة أشراف المصر يتحدثون فيه [illegible] والشرف والحسب ويسمرون عنده [illegible] الكراسي ، وهو أول من جلس [illegible] وكان لا يطعم وحده ولكن مع الصحابة [illegible] ومن حضر ، وكان يعشى الناس ويعشيهم كل يوم إلا يوم الجمعة فكان يعشيهم فقط ، وكان له قبة يشرف منها على عرض الجند كما أراد ذلك ، وكان إذا برز من دار الإمارة في موكب فخم يسار فيه بين يديه بالحراب والأعمدة ، وهو أول من سير بين يديه كذلك

* * *

ولسيرة زياد الخاصة طرافة وروعة ، كان زياد في صباه حسن الهيئة ، حسن الثياب ، ذا ذؤابة . وقد وصفه من رآه في أواخر حياته فقال : رأيته فيه عرة ، وفي عينه اليمنى انكسار ، أبيض اللحية ، مخروطها ، عليه قميص مرقوع . وقد أجمع الرواة على أن زياداً كان من أخطب الخطباء ، وأنه كان كاتباً بليغاً ، ومحدثاً لبق الحديث . قال الشعبي : « ما رأيت أحداً يتكلم إلا أحببت أن يسكت مخافة أن يسيء ، إلا زياداً فإنه لا يزداد من حسن إلا إلى أحسن » .

وكان أبا بارا بساداته وأسلافه الكرام ، وصديقاً وفياً لم يخن صداقة المغيرة ولا صداقة بشر بن حارثة الغداني الشاعر ، على أنه كلف زياد بالشعر ، ومع ما عرف به بشر من معاقرة الشراب . وإن يكن قد تنكر لحجر بن عدي فبحكم الواجب وحده تنكر . وفوق كل شيء فقد كان زياد عفيفاً لم تؤخذ عليه هنة في حياته الخاصة ، زاهداً في الدنيا غير حريص عليها . روى الحافظ ابن عساكر في تاريخه أن زياداً لم يكن من القراء ولا الفقهاء ، ولكن كان يعد في الزهاد . وقال الأصمعي : ملك زياد على العراق أربع سنين لم يضع لبنة على لبنة ، ولم يغرس شجرة ، يريد أنه لم يختص نفسه ببناء ولا زرع نفعا ويعتقد . وكان يقول : أغبط الناس حالا رجل له دار لا يجري عليه كراؤها ، وزوجة صالحة قد رضيته ورضيها ، [illegible] عيشها ، لا يعرفنا ولا نعرفه

ولما مات زياد رثاه غير واحد من الشعراء ، وقال [illegible]

[illegible] عند الثوية يسفي فوقه المور
[illegible] حتى يبعثها
فيه كل التقى والبر مقبور
أبا المغيرة والدنيا مغيرة وإن من غر بالدنيا لمغرور
قد كان عندك للمعروف معرفة
وكان عندك للنكراء تنكير
ولا تلين إذا عوسرت مقتسرا
وكل أمرك ما يوسرت تيسير
لم يعرف الناس مذ كفنت سيدهم
ولم يجل ظلاماً عنهم نور
والناس بعدك قد خفت حلومهم
كأنما نفخت فيها الأعاصير

قد يقال كلام هو مصداق عزوف النفوس وصدقها ، ولكن العواطف النبيلة ، لا يبعثها ذلك إلا ما هو نبيل حقاً .

عبد الحميد العبادي

خـــــواطر وآراء

أغانينا :

بمَ تطلق نغمة الحزن على أغانينا ؟ وهي ما بين لوعة فراق ، أو حرقة لاشتياق ، أو حسرة على مفقود ، أو نقمة على موجود ، أو توجع لمنجود ، أو شكوى من الزمان ، أو ألم حرمان ، أو افتقاد للوفاء في الخلان . وأكثرها ترجيع الآهات ، وترديد الزفرات ، وتقطيع العبرات ، وإرسال الأنات تلو الأنات .

أيكون ذلك صدى لجراح دفينة في النفس صنعها الواقع ، وأطلقها سيل الوجدان ؟ أم يكون أثر الحب العاثر والأمل الحائر ، شائع في حياتنا العربية ، ويحدثنا عنه الأدب في مظاهر الحياة ؟ ... أم أنها حتى انطلقت طبيعتنا المستورة في الإفصاح عن ذاتها في عالم الفن الحر .

أو تكون فكرة الموت التي كانت تغلب على كل تفكير وتعبير لدى الجيل لدى آبائنا المصريين الأقدمين قد استقرت في كياننا الباطن ، فهي أبدا جاثمة وراء تفكيرنا الواعي ، مخيمة على كل حركاتنا اللاشعورية ، صابغة حياتنا الشعبية والفنية كلها بالحزن قاتم حزين !

لا أدري لأي مرجع حال غنائنا ، ولكني الذي أدريه أني أعي لو لم تكن الغلة عينا منها جميعا ؛ وأحسب أننا في حياتنا الحديثة بحاجة إلى من جديد .

الطريق المعبد :

كنت أتحدث إلى صديق في أن من أكبر نقصنا

النقص في أخلاقنا القومية ، أننا نميل دائما إلى أن نسلك الطرق المعبدة في كل تصرفاتنا في الحياة ، ولا نفكر في شق طرق جديدة ولو كانت السبل المطروقة مزدحمة ملتوية .

في تعلمنا نسير على الأسلوب المألوف الذي ينتهي بنا إلى باب من أبواب الرزق ، مسدود في وجوه الكثيرين ، ومع ذلك لا نزال الإقبال على هذا السبيل متزايداً ، والتطور من تغيير الاتجاه بطيئا .

في تجارتنا نسلك مسالك عامة التجار في اختيار السلع التي نتجر بها ، وطرق ترتيبها ، والإعلان عنها ، على الرغم من ضعف نجاحها .

وفي زراعتنا نكرر طرقا لا تختلف عما كان يعمله آباؤنا الزراعيون إلا قليلا .

وفي ... واجتماعاتنا نسير على النهج المألوف ... على الطريقة المكررة المعادة .

وفي كل أحوالنا العامة والخاصة نجد هذا التكرار الممل لظاهر واحدة فقدت روعتها وتأثيرها .

ولو نزعنا في كل شؤوننا نزعة مستقلة أصيلة وعملنا على الابتكار والتفنن والتجديد فيها لكانت حياتنا أوفر إنتاجا وأكثر نشاطا وأملأ بالمتعة والأمل . قال لي صاحبي : هذا حق ، ولكني ألا ترى معي أنكم وقد بدأتم حياتكم الصحفية بإخراج « الثقافة » خليقون أن تشقوا لنا فيها طرقا حقيقية جديدة . قلت ذلك ما نحاول أيها الصديق . وسترى إن شاء الله حياة هذه الصحيفة حياة تطور مستمر وتجديد والله ولي التوفيق .

محمد عبد الواحد خلاف

أنا الغريق ...

بقلم
أحمد ضيف
وكيل دار العلوم

— ٢ —

وعند ما رجعنا من زيارة صديقنا سيمون ، كانت الطائرات تحلق في سماء باريس في دمدمات وجلبة تصم الآذان ، ترتفع تارة ارتفاعاً يحجبها عن النظر ، وتنخفض طوراً حتى يظن الناظر إليها أنها تكاد تمس سطوح المنازل ، تبطئ في سيرها أحياناً وكأنها في حالة اطمئنان وهدوء ، وتسرع طوراً كأنها في خوف وهلع [illegible] عدو يقفو أثرها أو كأنها غراب البين [illegible]

وقد رافقت صاحبي إلى محطة المترو ولم نتكلم في أثناء الطريق لأنا كنا في شبه ذهول ، وودعته ورجعت إلى منزلي ، فخلعت ملابسي وتناولت كتاباً أقرأ منه فقرات كعادتي قبل النوم . وفجأة سمعت منادياً ينادي :

— الضوء !! الضوء !! أطفئوا المواقد وأطفئوا المصابيح ، ثم سمعت بعد [illegible] وهو صفير رجال الشرطة ، ذلك الصفير المزعج الذي تخلع القلوب ، وأعقبه صوت طلقات المدافع في سماء المدينة ينذر بوصول طيارات الأعداء إلى قلب باريس . ثم نادى مناد آخر في انزعاج وتلهف وهو يذرع الطريق ويصيح :

— إلى الكهوف ، إلى الكهوف .

وكانوا أعدوا الطبقات السفلى من المنازل للالتجاء إليها وقت الغارات ووضعوا على أبوابها مصابيح زرقاء ، هداية للاهتداء إليها وقت الحاجة

ثم سمعت صراخاً وبكاء من الحجرة التي بجانبي وكنت أعلم أنها تسكنها سيدة أمريكية في سن الشيخوخة مع ابنتها وهي فتاة [illegible] أعرفها لأنها كانت تجلس بجواري حول المنضدة ، ثم خرجت الفتاة مذعورة في قميص النوم الشفاف ، تصيح وتقول : أمي ، أمي ، من يأتيني بها الآن ؟ ثم صاحت ثانية وأصابتها نوبة عصبية فوقعت ، وانحسر ثوبها عن جسمها فانكشف عن ساقيها ، وبرز صدرها واحمرت وجنتاها وهي تمسك خرقة وتبكي وتصيح : أمي ، أمي ، وقد تدحرجت على الأرض فزاد ذلك من رعبي وأشفقت عليها ، ولكني آثرت أن أنجو بنفسي ، فتركتها ملقاة على الأرض وفررت إلى الشارع أبحث عن ملجأ ألتجئ إليه ، وكان أمامي [illegible] ، فنزلت إليه ، وإذا بالناس تندفع إليه اندفاعاً ، وتتزاحم إليه [illegible] ، وقد اختلط الحابل بالنابل من [illegible] وسود وكبير وصغير ورجال ونساء

وقد [illegible] في جلبابها ، [illegible] وهذا شيء يكاد يفقد المجتمع من المقاومة ، [illegible] الموت والبرد إلى أن يحشر حشراً بين الفتيان والفتيات ، ولات ساعة شفقة أو رحمة . كل يفكر في نفسه . وكأن هذا الكهف جزء من سفينة نوح ، يجمع كل صنف من الناس !

والشرطي ينادي بين حين إلى حين :

— أطفئوا الأنوار ! إلى الكهوف ! إلى الكهوف

أما أنا فشغلت بالنظر إلى هذا الجمع الحاشد وما فيه من قبح وجمال ، وقلت : هذه لوحة مصور ، فكان منظر هذا الجمع يشبه ما نقرؤه في الكتب السماوية عن يوم الحشر ، وقد ظهرت أمزجة عتيقة ، فكنت لا أعرف إن كان هذا موقف جد أو هزل ، إذ كان من بين هؤلاء من يطرب ويبكي ويضحك ويسخر ، ومن بين النساء من كانت تبكي وتتألم ، فكنت أنظر إلى هؤلاء وهؤلاء ،

ضحكات وأبكي معه ، وأنسى ما عندك من أحزان وآلام من سحرة القلوب بالشعر . فيخيل إلى أننا في ملهى من ملاهي التمثيل نشاهد قصة تثير أنفسنا . وكأن هذا الجمع وما فيه [illegible] من فصول قصة غريبة يخلق مأساة كبيرة من حياة البشر !

رأيت شيخاً يحدث زوجته ، وكان هذا الشيخ ذا لحية طويلة قد وخطها الشيب ، وهو طويل القامة معتدل القد ، خفيف الجسم كثير الحركة ، لا يكاد يستقر في مكان ، [illegible] كثير الالتفات ، وكلما التفت [illegible] ، وكلما تكلم تبسم ، تبدو عليه السعادة والطلاقة في كل واحد ، مسرور [illegible] يخاطب الحاضرين وكأنه يعرف كل إنسان [illegible] : [illegible] السعادة والسيادة [illegible]

ثم التفت إلي وقال : أليس كذلك [illegible]
وظن أني من أهل [illegible] . فقلت [illegible]
نعم !

ثم [illegible] من هذا الشيخ [illegible] آخره ، وانقبضت نفسي كما رأيت الأضواء [illegible] هناك [illegible] منقطعة [illegible] هذا الجمع [illegible] وتمزج بأنفسه [illegible] ، [illegible] أو [illegible] الشمس [illegible] والناس بين [illegible] وآجم وخائف ومتشجع ، ثم نظرت إليهم من ذهول وحيرة . أما أنا فكنت أنظر تارة إلى هذا الجمع فأرى صورة من صور الحياة الإنسانية التي تجمع بين الخبيث والطيب والقبيح والجميل ، والسعادة والبؤس ، والخوف والرجاء ، والشجاعة والجبن و [illegible] و [illegible] فأعجب من ذلك ، وأحياناً كانت تطل نفسي من تلك الصورة التي تتجسم في شكل بؤس وشقاء ، ويطبق [illegible] فأتنهد تنهداً كنت أخشى أن يعقبه إجهاشي بالبكاء ما لم تكن [illegible] من الناس !

فآثرت الخروج من هذا المكان وقصدت إلى ميدان [illegible] المعروف ، ورأيت أن أحتمي ببناء قوس النصر هناك ، لأنه بناء ضخم شامخ ، لا تخترقه القنابل ، ولا تؤثر فيه المقذوفات .

وكانت الطائرات لا تزال تجيء وتروح ، وترفرف في جوف الفضاء ، فوقفت قليلاً أنظر إلى السماء . وفجأة سمعت صوتاً مرعباً وكأنما سقطت السماء على الأرض . فأسرعت إلى مكان هذا الصوت فإذا سيل من نار يتدفق ، أعقبه انفجار شديد على الأرض ، فاعترتني هزة شديدة من الخوف ، ورفعت جسمي ودفعت به إلى بعيد . ثم سمعت دوياً آخر وإذا بجسم ملتهب يقع على منزل فينهار ركن من أركانه ، فاعترتني رعدة كرعدة المحموم عندما رأيت النار تمتد إلى حجرة [illegible] أكلتها ، وقد رأيت بها امرأة مع طفلها الرضيع قد [illegible] النار ولهيبها .

وسمعت صراخاً متصاعداً من الجهة التي وقفت فيها [illegible] أن تلك القنبلة سقطت على [illegible] ما بين رجال ونساء وأطفال ، [illegible] إلى بيتي ، و [illegible] الدافع [illegible] وأزيز الطائرات يملأ الفضاء ، وكل من [illegible] إنسان في الطريق رأيته يجري مذعوراً [illegible] كأنما يفر من الموت ، أو كالذي يتخبطه الشيطان من المس !

* * *

أشرقت الشمس في الصباح ونشرت أشعتها في أنحاء المدينة ، وبدأت تخترق هذه الأشعة الضباب الذي ملأ الفضاء قبل الشروق ، ولكنه ما لبث أن تمزق وذاب . خرجت أتجول في شوارع المدينة أستطلع الأخبار لأبحث عن آثار هذه الغارة الجوية ، فرأيت سكوناً يسود الشوارع والطرق ووجوماً يظهر على كل مار ، وكل واحد كأنه في ذهول يسير خفية لا يود أن يراه أحد . وكان يخيل إلي أن المدينة وما فيها من إنسان وحيوان وجماد قد غشيتها غاشية من بؤس وتعاسة ، والقلق يجول في النفوس ويربط في

الظفر والموت من عنت الأعداء تدعو إلى اليأس ، والدعوة إلى طلب السلم بأي ثمن كان

سرت سيراً حثيثاً أتطرق تارة وأسرع أخرى ، فكنت لا أرى إلا وجوهاً كئيبة ، ونفوساً منقبضة ... حتى وصلت إلى ميدان الأوبرا ، فرأيت جمعاً حاشداً ، فاقتربت منه ، وإذا هوة سحيقة ، قالوا إن قنبلة [illegible] هي التي أحدثت هذه الهوة

وسمعت أحد الواقفين يقول :

— إن قنبلة سقطت على مصرف الكريدي ليونيه فخرقت السقف ، ونزلت في البهو ، فقتلت الحارس .

وقال آخر :

— لا شك أنهم كانوا يقصدون هدم الأوبرا ، ومن حسن الطالع أن هذا البناء الجميل نجا من أيدي هؤلاء الأوباش الأنذال .

وسمعت منادياً ينادي ، وكان من باعة الصحف اليومية :

« ستون طائرة حلقت في سماء باريس [illegible] إصابة ، فهدم جزء من الكريدي ليونيه [illegible] محطة الشرق وميدان الجمهورية ، وأصيب [illegible] »

رجعت إلى منزلي وعزمت على مغادرة باريس إلى مدينة بوردو بالجنوب . ثم ذهبت إلى مقر البوليس لأحصل على إذن لي بالسفر دون أن أخبر أحداً من أصدقائي .

سار القطار إلى بوردو وسط زوبعة شديدة وأمطار غزيرة ، وصواعق تتناثر من السماء ورعود تصطك منه الأسنان . كنت أنظر من النافذة فأرى ذرات الصقيع تتساقط وتطير في الفضاء ، وتكسو الأرض حلة بيضاء . والقطار يخترق السهول والوهاد والربى والوديان

وكان البرد شديداً ، ولكن كان بالقطار أنابيب مملوءة بالماء الساخن ، وضعت أسفل المقاعد ، ترسل حرارة تنتشر في الغرفة فتضعف حدة البرد وتلطف الهواء . فكنا في حالة مطمئنين

وكانت (الغرفة) التي ركبتها من غرفات الدرجة الثالثة — رغم ضعفها وذهاب دهانها وتكسير بعض أسرّتها — نظيفة ليس بها من القذارة إلا ما تركته أقدام الراكبين من أثر ما علق بالأرض من أحذيتهم .

وكانت نوافذ الغرفة كأنما غشيها من أثر الصقيع نسيج شفاف صورت عليه النقوش مختلفة ، متقابلة وغير متقابلة ، وأحياناً كثيفة تحجب ما وراءها ، والصقيع يسيل عليها فيقطعها ، فيمثل وجه إنسان أو حيوان أو صورة نباتية .

ثم أشعلوا المصابيح فانتشر في (الغرفة) نوع من الانتعاش بدخول الليل . وما زال القطار يجري ويطير أمامنا كأنما يخاف أن تدركه حتى أخشى بين تلك الوهاد والحقول ، وأمامنا الليل بسواده ، وكأنا نسير على غير هدى ، فانقبض صدري . ووددت لو أن هذا القطار سار فينا إلى أن يلقينا في عالم آخر ، أو يغيب بنا في جوف المحيط

ورأيت بجانبي أحد الجنود يدخن في غليونه وبيده صحيفة [illegible] ومن وقت إلى آخر يلقي الصحيفة [illegible] ويدخل إصبعه في فوهة الغليون ويضغط به على التبغ ، ثم [illegible] بعود ثقاب [illegible] فيشعل بها غليونه

وكان هذا الجندي في نحو الأربعين من عمره ، ذا لحية مصفرة تنذر بالشيب ، طويل الشاربين ، طويل الأنف ، أحمر الوجنتين ، تتخللهما خيوط لازوردية من أثر شرب النبيذ ، أزرق العينين ، كبير الرأس ، كثيف شعره ، صبيح الوجه كأنه يبتسم دائماً .

وقد وضع في جواره على المقعد سيفه وخوذته ، وبينما يشعل غليونه سقط شيء من فمه ، فانتفضت واقفاً خوفاً من أن يحترق ثوبي ، فنظر إلي وقال :

— عفواً ، عفواً يا سيدي .

وأشعل غليونه ، ثم التفت إلي ثانية كأنه يريد أن يقرأ في وجهي شيئاً ، وهز رأسه في حيرة وتعجب ، وقال :

— أتحرق يا سيدي . ألست جندياً ؟

قلت: لا.

قال: عجيب! إذاً أنت في الجندية السرية؟

قلت: لا يا سيدي.

فسمعت حديثنا سيدة كانت بجوارنا. فقالت هي أيضاً متعجبة، وكأنها مستفهمة:

— ألست جندياً يا سيدي؟!

قلت: لا يا سيدتي.

قالت: ما أسعدك! ولكن لماذا؟

فقال الجندي: السيد استثنى... أليس كذلك يا سيدي؟

فلم أجبه. فنظرت إليّ تلك السيدة وقالت:

— زوجي في سنك وشباب مثلك.

ثم تنهدت وقالت:

— مسكين أنت يا فرنسوا. ترى أين أنت الآن! أحي أنت أم ميت؟

وبكت. فنظر إليها الجندي وقال:

— سيدتي سيدتي، لا تبكي [illegible] شجاعة، ألم... ألم... لا تبكي. إن امرأة فرنسية لا تبكي على زوج يصد الأعداء عن فرنسا.

فأجهشت بالبكاء. فقال الجندي:

— سيدتي العزيزة. اذكري فرنسا. ألا تذكري فرنسا التي يريد العدو أن يهدمها. إننا يا سيدتي نحمي فرنسنا، ونموت لتحيا فرنسا.

فنظرت إليه السيدة نظرة ارتياب ثم عن حقد كامن في نفسها، والدموع تتساقط على خديها، وقد [illegible] الشجن، ويذلهما البكاء. وقالت بصوت متهدج يقطعه تنهداتها وشهيقها وإجهاشها بالبكاء:

— أجل يا سيدي. ها نحن نموت لتعيش فرنسا وتحيا فرنسا

وسكتت قليلاً. ثم حدقت في وجه الجندي وقالت:

— إنك يا سيدي لست متزوجاً، وليس لك أولاد. أليس كذلك؟ فأجاب الجندي:

— بلى يا سيدتي.

فقالت: ما أسعدك! إن حب الأسرة والتفكير في مصير أبناء صغار ليس لها موضع من نفسك، وربما لا تعرف إلى اليوم وفي هذه السن معنى الشفقة. إنك يا سيدي خالٍ من المتاعب، ولذلك أجدك — وأنت جندي راجع من ميدان القتال وقد شاهدت هناك الأهوال — فرحاً مسروراً

فأجابها: — نعم يا سيدتي، فرح مسرور. ولماذا أحزن؟ أليس من الشرف أن أموت في سبيل الدفاع عن بلادي؟ ألا ترين يا سيدتي أن الرجال الأنذال يموتون من أجل متعة يتمتعون بها يوماً أو ليلة؟ أو ليس الموت في سبيل الدفاع عن الوطن خيراً من هذا؟

وسكت قليلاً، ثم قال:

— أو ليس الرجل يموت أحياناً من عثرة في الطريق، أو من [illegible] سيارة، أو تصادم قطار؟ وليس له مفخرة [illegible] من الموت [illegible] من أجل [illegible] فرنسا

فقالت السيدة، وقد خفضت رأسها وصوتها، ورددت قوله:

— أجل. أجل. نموت لتعيش فرنسا! ثم رفعت رأسها ونظرت إليه وعيناها تشتعلان غيظاً وقالت:

— بل نموت ليعيش رجال السياسة وأرباب الأموال. إن رجلاً يجلس في مكتبه [illegible] الأهواء، يدفع الناس إلى القتال، فيموت [illegible] ويرمل نساء، ويتيم أطفالاً، ويهدم أسر

ووقف القطار في محطة في الطريق. فنادى مناد:

— إلى [illegible]. إلى [illegible]. اركبوا. اركبوا أيها المسافرون. ثم صاح:

— احترسوا. القطار يسير

وسار القطار قليلاً يشق [illegible] الجو ويتنفس ويشهق [illegible] إلى [illegible]

(لها بقية) أحمد ضيف

قبة الصخرة

للدكتور زكي محمد حسن
أمين دار الآثار العربية

كان الحرم الشريف مقدساً منذ العصور القديمة، فبنى عليه سيدنا سليمان معبداً ذاع صيته. وقد شيد فيه عبد الملك ابن مروان بناء من الحجر مثمن الشكل، تعلوه قبة وفي وسطه الصخرة المقدسة، التي يروى أن النبي عليه السلام وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء. ولذا يسمى هذا البناء قبة الصخرة (انظر الصورة المواجهة لهذه الصفحة)، وإن كان يعرف أحياناً باسم جامع عمر، لأن عمر بن الخطاب كان قد أقام في موضعه مصلى صغيراً من خشب. وقد أقام عبد الملك بن مروان على أنقاضه البناء الحالي بين سنتي ٦٨ و٧٢ هجرية (٦٨٧ و ٦٩١ بعد الميلاد).

ويبلغ طول هذه الصخرة ١٨ متراً من الشمال إلى الجنوب و١٣ متراً من الشرق إلى الغرب، كما يبلغ أعلى ارتفاع لها فوق أرض البناء متراً ونصف متر. وتحت الصخرة مغارة ينزل إليها بإحدى عشرة درجة في الجهة الجنوبية الشرقية.

ومهما يكن من شيء فإن البناء مقسم من الداخل إلى ثلاث مناطق دائرية يفصل كلاً منها عن الأخرى صفان مستديران من الأعمدة والدعائم. وفي الوسط سياج من الخشب المدهون يحيط بالصخرة المقدسة التي يطوف حولها الزائرون في المناطق المذكورة.

ولكن هذا الشكل المثمن لم يظهر ثانية في تصميم الجوامع الإسلامية، وظلت قبة الصخرة فريدة في طرازها؛ لأن تصميمها كان ملائماً كل الملاءمة لحفظ الصخرة المقدسة في الحرم الشريف؛ بينما كانت الجوامع المستطيلة ذات الصحن المفتوح أوفق للعبادة الإسلامية، فاتخذها المسلمون واحتفظوا بها زهاء أربعة قرون.

وقد كان الجانب الخارجي من جدران البناء، وكانت القبة نفسها مغطاة بالفسيفساء التي استبدلت سنة ١٥٤٥ على يد السلطان سليمان القانوني بلوحات من القاشاني المدهون بالمينا من صناعة تبريز في إيران.

والقبة قائمة فوق أسطوانة محمولة على أعمدة ضخمة. وقد كان استخدام القباب معروفاً في الشام وأرمينية قبل بناء قبة الصخرة، كما كان في الشام كنائس ذات قباب فوق أبنية مثمنة الشكل. وعلى كل حال فإن هذا الأثر بديع التناسب بين عناصره وغني بزخارفه، ولا سيما الفسيفساء التي تزين كثيراً من أجزائه الداخلية. وليس غريباً أن يكون [illegible] هذا الأثر الخالد، بعد أن انتشر الإسلام، و[illegible] الأمن في أنحاء الشرق، وأصبح خلفاء بني أمية [illegible] وكان [illegible] الذين أكثر [illegible] العمال والصناع من أهل البلاد المفتوحة، ولا سيما الشام التي ازدهرت فيها قبيل الفتح العربي مدرسة من أرقى مدارس الفن الهلينستي، فلا غرابة أن يساهموا في بناء صرح الفن الإسلامي بنصيب وافر.

على أن قبة الصخرة ليست الآن على الحال التي كانت عليها في عصر بنائها فإن أكثر الزخارف يرجع إلى عصر متأخر، اللهم إلا زخارف الفسيفساء المكونة من رسوم الأشجار ومن الأواني التي تخرج منها الفروع النباتية ومن رسوم الأهلة والنجوم.

وطبيعي أن يلاحظ علماء الآثار أن عناصر الزخرفة والعمارة في قبة الصخرة كانت هلينية أو بيزنطية أو سورية مسيحية أو ساسانية مما لا محل لتفصيله هنا، حسبنا أن ننبه إلى عظمة هذا الأثر من لم يسعده الحظ بزيارته، والشعور بالعظمة والجلال اللذين يشعان منه.

زكي محمد حسن

نظرات في الأدب العربي :

المرأة والأدب

للأستاذ فخرى أبو السعود

كانت للمرأة في الفنون منذ القديم منزلة عليا ، إذ كانت الفنون تدور حول جمال هذا الكون ، وكانت المرأة مجلى الجمال الأعظم ورمزه الأقرب إلى النفوس ، فهذب الشعر دائماً جمالها وحبها ، واتخذها المصور والمثال رمزاً لكل ما حاولا تصويره وتمثيله من معاني الجمال والفضيلة والسمو ، فإذا أراد المصور والمثال التعبير عن العدالة أو الحقيقة أو الحرية أو الطبيعة أو الحب والجمال أو [illegible] الربيع ، لم يتبادر إلى ذهنه إلا جمال المرأة [illegible] رمز لما أراد تصويره من معاني [illegible] للجمال الإنساني في تفننه وتشابهه [illegible] السحرية والوديان والجنات ، وأشكالها العرائس الحسان ، وأبكار الحور العين على ضفاف الجداول السحرية ، وفي مياه البحار النائية

ظلت المرأة في الشعر رمز الجمال ومثابة الحب ومطمح القلوب ومهوى النفوس ، وأنشودة الشعراء المفتونة أنفسهم بالحب ، المتيمة بالجمال ، المتطلعة إلى الأفق العالي ، والآفاق المتنقلة من الشعور والمعاني ؛ وظل مكان المرأة في الأدب مقصوراً في الغالب على ذلك : كانت رمز جمال وحسب ، تلهج بجمالها ألسنة الشعراء ولا تلهج بغيره ، ويتغنون بحبها وهي تكاد تكون محجوبة عن ذلك الترنم ، ومعتزلة عن الأدب والفن [illegible] نظراً . والمشاعر التي تترنم بمحاسنها لا يتطلب لديها صفة غير ذلك الجمال وما يتبعه من خفر ودلال وعفة وحياء .

كذلك ظلت علاقة المرأة بالأدب زمناً طويلاً ، ولم يعرض مثل هذه العلاقة ، ويبق أن هذه النظرة إلى المرأة ، عند تعرضها [illegible] مذاهب الأدب في [illegible] أشعار النسيب المنثورة في شتى اللغات . وهكذا كانت علاقة المرأة بالأدب في الغرب إلى عهد النهضة الأوربية وإلى ما بعدها بزمن طويل ، لم يكن للمرأة الإنجليزية أو الفرنسية — إذا استثنينا أفراداً من أبناء الطبقة المترفة الأرستقراطية — مشاركة في إنشاء الأدب ولا مساهمة في الاستمتاع بها ، ولا يكاد يكون لها في غير أشعار النسيب ذكر ، وانقضى عصر شكسبير وملتون ، ولم يلمع في سماء الأدب الإنجليزي اسم امرأة ذات أدب يعتد به

ثم تغيرت الحال تغيراً تدريجياً في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، [illegible] أحوال أوربا الغربية بعد ركود الحروب واستقرار المجتمع شيئاً فشيئاً ، فبدأت حال المرأة [illegible] تتحسن ومكانتها في عالم الفكر تعلو ، فبدأت المرأة [illegible] الأدب وتشارك فيها ، وبدأ الأدباء من [illegible] أن يلتفتوا إلى المرأة بينهم — يوجهون بها إلى [illegible] في مصر الأدب ، ويتوجهون إليها بعنايتهم الأدبية ، ويخصون بآدابهم النمط الذي يلائمها ويجتذبها ويساعد على ترقية مركزها الاجتماعي ورفع مستواها العقلي والارتقاء بالمجتمع عامة من تلك الطريق

ظل حركة الأدباء هذه في إنجلترا كاتبان تعاونا في العمل الأدبي وهما « أديسون » و « ستيل » اللذان أصدرا معاً جملاً جعلا همهما الأول فيها إرضاء القارئات فضلاً عن القارئين ، فتناولا من الموضوعات ما يحبب إليهن مطالعة ، والتزما في أسلوبيهما السلاسة والرقة ودقة الغزل ، وتناولا شؤون الأسرة في أسلوب [illegible] لم يكن معروفاً قبل ذلك ، وانتقدا بذلك الأسلوب [illegible] الأحوال والأزياء السائدة في عصرهما ما استهجناه ، مازجين الدعابة والرقة بالجد والصراحة ، وما زالت مقالاتهما في هذه الشؤون على اختلاف موضوعها ممتعة حلوة ، ومنها مقالات أديسون « [illegible] الرأس »

النســـائى » و « تدريب عسكرى فى استعمال المراوح » و « مذكرات يومية لسيدة »

ومن حقنى بعد ذلك الثياب الفضفاضة التى درجت النساء فى ذلك العهد على ارتدائها ، وهى الثياب التى تمتد متدرجة من الخصر كأنها خيمة تغطى النصف الأسفل من الجسم ، يقول أديسون : « لم أر مندى مخلوق جميل ساحر له أن يحلى بالفراء والريش واللآلئ والماسات والجواهر والحرير ، وعلى الحمل أن يلقى جلده عند أقدامها ليجعلها لها معطفاً ، وعلى الطاووس والببغاء والبجعة أن تشترك فى صنع أرديتها ، وعلينا أن نبحث فى البر والبحر للأصداف ، وعن الأحجار الثمينة فى الصخور ، وعلى كل جزء من جوانب الطبيعة أن يساهم فى تزيين مخلوق هو أبدع مبدعات الطبيعة طرآ . يمكن هـذا سامح النساء ، أما ذلك الجرس الذى كنت أتحدث عنه فلا أستطيع أن أسمح لهن أو أسمح به أبداً ... »

بهذا الأسلوب المهذب التهكم كان [illegible] يعالج عادات العصر الاجتماعية ، [illegible] بالأدب ، فكان له فضل الأثر فى [illegible] الآداب ورفع منزلة المرأة الثقافية والاجتماعية ، ولم ينصرم القرن الثامن عشر حتى ظهرت نساء متأدبات كثيرات ، وبدأ الأدب من ثم يعكس صفات النساء بجانب صفات الرجال ، وكان أول ضرب من الكتابة اتجهت إليه النساء الرسائل يتبادلها الأصدقاء ، ويتداولها كبار رجال الأدب ، ومن كبار كاتبات الرسائل فى القرن الثامن عشر فى انجلترا « ليدى مونتاجيو » التى كان زوجها سفيراً لبريطانيا فى الآستانة ، وكانت تكاتب صاحباتها من الشرق سنين ، ومنهن مدام « دار بلاى » التى امتد بها العمر من منتصف القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن الذى يليه ، وكانت للناقد الدكتور « جونسون » و « ما كولى »

وكان لهؤلاء النساء للمتأدبات أثر فى الأدب غير تلك الرسائل الشائقة ، إذ كانت كثيرات منهن حريصات على الاتصال بأعلام الأدب فى عصورهن ، ومن ثم أصبحت بيوت بعضهن منتديات للأدب والنقد والحديث الجميل ، وهذا « صالون » كل سيدة منهن تقبل بين جنباته الشارى فيه ألسنة البلغاء ويمهر فيه فنون القول ، ولقد كانت نساء فرنسا أسبق إلى هذا النشاط الأدبى من نساء انجلترا ، ولا غرو فقد ظلت فرنسا ما طويلا قوة القارة الأوربية فى مصابيح المدنية والآداب والأزياء ، فنجد فى القرن السابع عشر مدام دى سيفينيه التى كانت بيتها مراداً لذوى الآداب والفنون ، والتى ما زالت رسائلها إلى ابنتها مصدراً فى عصرها من أقرانها منها كثيراً من كنوز الأدب والتاريخ معاً ، وإن لم تقصد كاتبتها بها الاشتهار الأدبى ، كما كانت الكاتبات معاصرتها مدام لافاييت آثار فى الأدب تحفظ بها

[illegible] فى أواخر القرن الثامن عشر وعهد [illegible] ابنة [illegible] كان لها فى المجتمع مكان رفيع ، وكانت [illegible] الأدباء [illegible] الساسة ورجال الحرب ، إعجابه بمدام [illegible] الرائع وخلف الذى جعلها مصدراً [illegible] الصداقة بينها وبين شاتوبريان فى أواخر [illegible] والأخرى مدام دى ستايل ابنة الوزير الشهير نكر ، التى كان معتدها للنقد على حكم نابليون ، والتى نفيت من أجل ذلك وصودرت بعض كتبها ، وقد كتبت فى الأدب والفن والسياسة والقصة ، ومن خير كتبها كتاب عن ألمانيا ما زال مما كتبته فيه عن حبه وشعره وكان من خير ما كتبت عنهم

بدأ النساء المتأدبات بالرسائل يودعنها ملاحظاتهن ومشاعرهن ، فلما نمت أقلام بعضهن فى مضمار الأدب اجترأن على ضرب من الأدب أخطر ، وهو القصة يبرزن فيها ملاحظاتهن وشعورهن أيضاً ، ولكن على نحو أوسع وأدق وأظهر فنية وأحوج إلى المهارة والإتقان . وكانت القصة فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر قد ارتقت ووضعت قواعدها ونبغ فيها رجال كثيرون ، ومع أنها كانت أحدث ضروب الأدب ظهوراً — أحدث من الشعر

والدوائية والفكاهة وغيرها — فإن المرأة نزعت إلى مباراة الرجل في مضمار القصة ممثلة تلك الضروب الأدبية القديمة.

وقد لقيت المرأة في هذا المجال نجاحاً كبيراً، وتحتل القصة من ذكرى من النساء، مدام دي ستايل وإن لم تصب نجاحاً كبيراً؛ وخلفتها مدام دارنلاي فنالت نجاحاً عظيماً ولقيت كتبها بعض القصة النسوية الباهر القبول. وإنما نجحت المرأة في كتابة القصص أعظم النجاح الذي صادفته في عالم الأدب لملاءمة القصة لتكوينها ومزاجها. فالقصة الحديثة هي قصة اجتماعية تدرس أحوال المجتمع وتصف أخلاق الأفراد وسلوكهم في الجماعات. والمرأة بغرائزها وطبيعة حياتها هي عمود المجتمع ومركز الأسرة، ولها شغف بالاجتماع والمعاملات والأحاديث حجة، ولها إلى كل ذلك ميل فوق ما لها من خبرة أو ميل إلى شيء آخر. فلا غرو إذا نجحت المرأة الموهوبة في تصوير ملاحظاتها و[illegible] تجربتها وحياتها في قالب القصة الفنية [illegible]

وبعد أن كتبت مدام دارنلاي [illegible] في إنجلترا القصصية الكبيرة جين أوستين [illegible] القرن الثامن عشر والتاسع عشر. وعرفت القصة [illegible] طبيعي ونجاح باهر، وهي في الخامسة عشرة من سنيها. وكان جمهورها القارئ في بدء الأمر أخواتها اللاتي كن يطربن لتلك الصور الرائعة التي تصور فيها أشهر الشخصيات التي يعرفنها حق المعرفة ويسخرن من حماقتها ولوازمها الخلقية. بيد أن كتابات جين أوستين هذه التي أطربت أخواتها ما كان من شأنها أن أطربت الجمهور العام في انجلترا كلها حين قدر لها أن تطبع. ومع من عادة القراء [illegible] أن الرضى عن عرض الحالات [illegible] أغرب في إعجابه بها ورأيه في أن تماثل صوراً من القصة اختارها، ولكن جين أوستين لم تلتفت إلى ما اختار.

كان التعليم ينتشر في خلال القرن الثامن عشر، وكان للمرأة حظ منه عظيم، وكان انتشاره من أسباب اتساع الجمهور القارئ والتأدب من النساء. وفي القرن التاسع عشر ازداد التعليم انتشاراً؛ وفي النصف الثاني منه أصبح إلزامياً في ممالك غربي أوربا فازدهر الأدب النسائي في ذلك القرن ازدهاراً عظيماً. ونبغ في إنجلترا من القصصيات النابهات الأخوات برونتي ومسز جاسكل وجورج إليوت — وهو اسم أدبي اختارته تلك الكاتبة — كما نبغت من الفرنسيات جورج صاند. ومعظم هؤلاء الكاتبات كن بنات قسيسين، وذلك لأن القسس كانوا في فرنسا وفي انجلترا خاصة طبقة مثقفة في القرن الماضي، بل كان أغلب الطلاب الذين يذهبون إلى أكسفورد وكمبردج يطلبون درس الدين. وكان كثير من الأدباء الذين نبغوا في ذلك العهد قد أرسلوا إلى الجامعة على رغبة من آبائهم وأمهاتهم في أن يروا أبناءهم في مقبل العهد قسساً. ومن هؤلاء الأدباء رسكن ووليام موريس.

وقد صور تومس هاردي هذه النزعة إلى التخرج في الدين في روايته «تس سليلة دربرفيل»، فما أكثر القسس [illegible] كم من أن الذهاب إلى الجامعة إنما [illegible] الأصول مثله كمثل مقدمة كتاب [illegible] وهم الذين يجيء بينهم الثلاثة قد [illegible] ويكون الابن الثالث [illegible] تلك الحرفة، ويؤثر غيرها — كما فعل رسكن ووليام موريس — فيفهم الوالد والأم [illegible] أن [illegible] وينتهي الأمر بعدم ذهاب الابن إلى الجامعة قطعاً.

فكان القسس في القرن الماضي — ولا يزالون — طبقة مثقفة راقية تتمتع برغد العيش ووفرة الفراغ، فكانت وسائل التفرغ للأدب متوفرة لديهم، وكانت بناتهم يستغللن تلك الوسائل معهم ويستطعن المكتبات القيمة التي يجمعها آباؤهن فينشأن في جو أدبي [illegible]. وكان أكثر أولئك القسس بالطبع يعيشون في الأقاليم. ومن ثم نرى جين أوستين ومسز جاسكل وغيرهن من القصصيات بنات القسس يتوفرن في قصصهن على تصوير الحياة الريفية، وفي قصصهن أوصاف الريف الإنجليزي والشخصيات

الرفيعة [illegible] آثارها في الأدب

إن القصة تقتضي النساء المؤلفات وفيها انتصرن أعظم انتصاراتهن الأدبية، وتركن فيها آثاراً من الطراز الأول تضاهي خير آثار القصصيين. أما الشعر فلم تستطع المرأة فيه إلا القليلات، ولم تبلغ فيه منهن إلا أفراد، ولم تنل واحدة منهن منزلة عظماء الشعراء؛ لأن الشعر لا يلائم طبائع المرأة كما تلائمها القصة: فالشعر يحتاج إلى عاطفة عميقة وأفق واسع وقوة وبعد، لا تتوفر لكثير من النساء. واللائي نبغن في الشعر منهن نبغن في الضروب الملائمة لطباعهن: فأشعرن المقطوعات الغنائية والعاطفية الرقيقة. ومن أرق شاعرات القرن التاسع عشر في انكلترا كريستينا روزيتي أخت الشاعر المصور دانتي جبرييل روزيتي، واليزابث باريت براوننج زوج الشاعر العظيم براوننج، وكانت الأخوات برونتي ينظمن الشعر بجانب تأليفهن القصص، وأشهر شاعرات فرنسا الحديثات [illegible] منذ سنوات

أما المعاصرات من الأديبات فلا [illegible] وقد عملن في كل مضمار من مضامير الأدب، من القصة إلى الشعر إلى المقالة إلى السياسة إلى الاجتماع. هذا وقد كان للنساء في الأدب أثر غير مباشر بعيد المدى لا يقل عن أثرهن المباشر عن طريق التأليف والإنشاء، فكن مصدر تشجيع وإلهام ووحي لكثير ممن عرفن من أدباء، ومنهن من عرفت بوحيها في حياته الأدبية أجل معاونة كزوج توماس كارليل. ومن أجمل مظاهر التعاون الأدبي بين الزوجين أو بين الأصدقاء والإخوة من الجنسين، أن زوج وليام موريس حين [illegible] كانت تحول [illegible] الطرائف، وأن روزيتي رسم بقلمه الصور التي تحلي ديوان أخته كريستينا، وأن روزيتي هذا ظل يستلهم الشعر من حب زوجته في حياتها ثم من وجده عليها بعد موتها، وبلغ من [illegible] عليها أن دفن معها جانباً كبيراً من مخطوطاته. ومن أمثلة الزوجين الأديبين اللذين تعاونا في الأدب ويشتهر كل منهما لدى الجمهور، الشاعر براوننج وزوجه اليزابث سالفة الذكر. والكاتبان الفرنسيان [illegible]

ومن الزوجات من أعوزتهن الملكة الأدبية التي عرف بها أزواجهن، ولكنهن عوضن ذلك بأن كتبن تراجم لأزواجهن بعد موتهم يتعرف بها الجمهور المتلهف إلى أخبار أولئك الكتاب، ومن أمثال ذلك زوج توماس هاردي. كما أن ما كتبته أخت الشاعر العظيم وردزورث ما زال من أهم مصادر تاريخ ذلك الشاعر، وقد كانت أخته من أشد الناس ولعاً بشعره وأعظمهم تقديراً له، حتى كانت أشبه بالملاك الحارس عليه من [illegible] [illegible] من تلك [illegible] جملة [illegible] مقالات [illegible] [illegible]

[illegible] صفات المرأة [illegible] وفاتنة الفن ومصدر الأدب، وكل أدب يخلو من ذكرها وتمجيد جمالها أدب [illegible] مفتقر [illegible]، كما أن الأدب الذي يقتصر أثر المرأة فيه على أشعار [illegible] الشعراء المغرمون، هو أيضاً شعر ناقص متخلف. وليس يجمل في المجتمع الراقي الإنساني أن تقف المرأة جانبة منه [illegible] الألسنة [illegible] العالم [illegible] وليس يبلغ الأدب ما يرجوه من كل ناحية [illegible] من شاعر المرأة [illegible] إنتاجية كاتبة وشاعرة، إذا قرأت [illegible] الكاتبين [illegible] فيما يقولون وما يفكرون، وإذا كتبت [illegible] في الأدب من آثار عقلها [illegible] ما لا يستغني الأدب عنه مهما زخر بآثار الرجال.

فخري أبو السعود

مشكلة الامتحانات
فى مصر
للأستاذ إسماعيل القبانى

— ١ —

[أصبحت الامتحانات فى مصر مشكلة مزمنة ، ويعنى الناس آثارها السيئة تتغلغل فى كل نواحى التعليم ، ويشعرون بأن نقطة البدء فى إصلاح تلك الامتحانات [illegible] التربية الصحيحة . ولذلك رأت رابطة التربية الحديثة بحث هذه المشكلة من جميع نواحيها ، وتناولها بوصفها الدرس العلمى ، ورجت أن يصلوا إلى علاج يخفف من حدتها ويهذب من طرقها ، حتى تصبح أداة صالحة للحكم على عملية التعليم من غير أن تطغى عليها وتفسد نتائجها . وكان باكورة تلك البحوث ذلك البحث القيم الذى ألقاه وكيلها فى اجتماع عقد بدار الجمعية الجغرافية منذ أيام برئاسة [illegible] وحضره جمهور كبير من رجال التربية والتعليم [illegible] هذا الموضوع الخطير [illegible] طلبهم ، تتناول فى الأولى أنواع [illegible] وعيوبها ، وفى الثانية عن أساليب [illegible] البلاد الأخرى [illegible]]

بدأ المحاضر بالإشارة إلى الأغراض المختلفة التى تقصد من الامتحانات ، وضرورة التمييز بينها . فالامتحان قد يكون أداة تعليمية يستخدمها المدرس فى دروسه ، كما يستخدم الأسئلة الشفوية ، وقد يكون أساساً لنقل التلاميذ من فرقة إلى فرقة ، أو تقسيمهم إلى فصول متجانسة فى الفرقة الواحدة ، وقد يكون امتحاناً توجيهياً للكشف عن نوع الدراسة ، أو نوع المهنة التى تليق بها الطالب ، أو امتحاناً للقبول لتبين مبلغ استعداد الطالب لنوع معين من الدراسة ، وقد يكون امتحاناً نهائياً لمعرفة مقدار ما أفاده الطالب فى مرحلة معينة من مراحل التعليم ، وقد يكون امتحاناً مهنياً للكشف عما إذا كان الطالب قد أصبح أهلاً لمزاولة مهنة معينة ، كالهندسة أو الطب أو العمل الكتابى بالمصالح . الخ .

ثم بين المحاضر أن طبيعة الامتحان والمسائل التى تجرى فيها تختلف باختلاف الغرض المقصود منه ، فمن الخطأ مثلا محاولة الجمع بين امتحان إتمام الدراسة الابتدائية وامتحان القبول بالمدارس الثانوية ، لأنه ليس كل من يتم الدراسة الابتدائية يكون لديه الاستعداد العقلى الكافى للنجاح فى الدراسة الثانوية النظرية ، كما أنه ليس كل من يتم الدراسة الثانوية يكون لديه الاستعداد العقلى الكافى للإفادة من التعليم الجامعى العالى . وفى امتحان إتمام دراسة ما يعنى باختبار مقدار تحصيل الطالب والمعلومات التى كسبها منها ، أما فى امتحان القبول لدراسة جديدة فأهم ما يجب أن نوجه إليه عنايتنا هو الكشف عن القدرات العقلية ، وبصفة خاصة عن المواهب الطبيعية التى تؤهل الطالب للنجاح فى هذه الدراسة الجديدة . وهنا تساءل المحاضر : هل امتحاناتنا المألوفة تؤدى هذه الأغراض المختلفة على وجه مرضى ؟ هل تعطينا فكرة صحيحة عن تحصيل الطلبة والقدرات التى اكتسبوها من [illegible] مداركهم العقلية ، ومواهبهم الطبيعية ؟ [illegible] شرح رأى علماء النفس فى ماهية الاستعدادات العقلية ، ونوع العمليات الفكرية التى يبرز فيها الذكاء ، بين أن امتحاناتنا لا تختبر فى الغالب قوة الفهم والابتكار ، والقدرة على استنباط العلاقات بين الأشياء والحقائق ، والبراعة فى تطبيق المعلومات واستخدامها عند التصرف فى المواقف الجديدة ، بقدر ما تختبر فيه الحفظ الآلى ، والقدرة على سرد حقائق مخزونة فى الذهن من غير أن تقوم دليلا على أنه قد هضمها وأصبح قادراً على الانتفاع بها . وقد ضرب لذلك أمثلة كثيرة من أسئلة الامتحانات العامة فى السنوات الأخيرة على اختلاف مراحلها ومواردها ، نذكر منها ما يلى :

١ — تكلم عن عمليتى الهضم والامتصاص .

(شهادة الدراسة الابتدائية سنة ١٩٣٤) .

٢ — ترجم لرجلين [illegible] أثرهما فى التعليم فى مصر .

(شهادة الدراسة الثانوية القسم العام سنة ١٩٣٧) .

٣ — [illegible] ثلاث ثورات حديثة مبينا حدوثها وأشهر نتائجها .

صف سطح هذا الأثر وتلله ، واشرح أهميته في دراسة التاريخ .

(شهادة الدراسة الثانوية القسم العام سنة ١٩٣٤) .

٥ — (أ) اذكر قانون [illegible] واشرح طريقة واحدة لإثباته .

ب — صف مقياس الكثافة [illegible] ، وبين طريقة استعماله .

(شهادة الدراسة الثانوية القسم العام سنة ١٩٣٥) .

٥ — اشرح نظرية المثل عند أفلاطون .

(شهادة الدراسة الثانوية القسم الخاص سنة ١٩٣٥) .

٦ — عرف الذرة والوزن الذري ، والجزيء والوزن الجزيئي وأثبت العلاقة بين الوزن الجزيئي والكثافة النسبية .

(شهادة الدراسة الثانوية القسم الخاص سنة ١٩٣٦) .

٧ — صف الجهاز الهضمي في جميع رتب الفقاريات ، الحيوانات الفقرية مبيناً كلامك بالرسم .

(شهادة الدراسة الثانوية القسم الخاص سنة ١٩٣٨) .

وأمثال هذه الأسئلة كثيرة في جميع المواد ، والظاهر أن الإجابة عنها لا تتطلب من التلميذ أكثر من أن يحفظ بضع صفحات معينة من الكتاب المقرر عليه ، حتى إذا حان موعد الامتحان أفرغها في ورقة الإجابة كما هي من غير تصرف . ومثل هذه الأسئلة لا تقيس [illegible] لا يمكن أن يكون مقياساً صحيحاً [illegible] فالمعلومات لا تصبح [illegible] أو ثقافة بالمعنى الصحيح إلا بعد أن يتشربها العقل ويهضمها ، أي يتفاعل معها حتى تصبح جزءاً من نسيجه ، فينمو بما اكتسبه منها ، ويصير بعد امتصاصها أقدر على التصرف في المشاكل التي تعرض له مما كان قبلاً . وفي هذه الحالة لا يكون اختبار قيمة هذه المعلومات عن طريق استعادتها من العقل كما هي ، بل عن طريق قياس القوة التي أضافتها إلى العقل .

وإذا كان أقسى نقد يوجه إلى التعليم في مدارسنا أنه لا يربي شخصية الطالب ، ولا ينمي فيه الصفات التي تعده للكفاح في الحياة وخدمة المجتمع ، فلا شك في أن الامتحانات التي من النوع السابق من أكبر العوامل التي توجه التعليم ذلك التوجيه الناقص . فالمدارس لا تتحرج من أن تصرف الوقت في حشو أذهان تلاميذها بما سماه الأستاذ هوايتهد الإنجليزي « الأفكار الخامدة » ، وهي « الأفكار التي يقتصر العقل على استقبالها من غير أن يستخدمها أو يختبر صحتها أو يحولها إلى صور جديدة » . وهي تضن بوقت التلاميذ أن يصرف في مطالعة حرة ، أو بحث شخصي ، أو نشاط اجتماعي ، أو هواية فنية ، أو رياضة بدنية ، أو غير ذلك من النواحي التي تنمي الشخصية ، وتكون الخلق المتين .

هذا إلى أن الامتحانات العمومية من أقوى عوامل الجمود في التعليم ، لأنها تتطلب التوحيد في المناهج والأساليب ، فتحول بذلك دون مراعاة المدارس لحاجات البيئة المحلية وتمشيها مع الحوادث التي تمر بالعالم الخارجي ، وتمنعها من مسايرة ميول تلاميذها وإطلاق الحرية المعقولة لهم في الدراسة ، كما أنها تحد من حرية المعلمين في اختيار مادة الدروس وطرق التدريس .

ثم إن شبح الامتحان الماثل دائماً للأذهان يدفع المدرسين إلى إثقال التلاميذ بالواجبات المنزلية ، ويدفع [illegible] في الأسئلة كل [illegible] بما يحرم معظمهم من [illegible] راحة ورياضة ، ويدفع التلاميذ عند اقتراب موعد الامتحان إلى مواصلة الليل بالنهار في مجهود مضن يفضي في كثير من الأحيان إلى إضعاف أجسامهم وإتلاف أعصابهم . وليس العهد بتقرير الدكتور علي إبراهيم عن صحة طلبة كليات الجامعة ببعيد .

بعد هذا انتقل الباحث إلى البحث عن مبلغ دقة الامتحانات من حيث هي أداة للقياس ، وبعبارة أخرى ، البحث عما إذا كانت الدرجة التي يحصل عليها طالب في مادة من المواد تدل بالضبط على حقيقة قوته في هذه المادة . وعرض نتيجة تجربة قام بها على امتحانات وسط السنة ببعض مدارس القاهرة في سنة ١٩٣٠ . والفكرة التي قامت عليها هذه التجربة هي أن من خاصيات القياس المضبوط — كالمسطرة أو الميزان — أننا إذا قسنا به الشيء الواحد مرتين فلا بد أن تتفق نتائج القياس في الحالتين

وإذا كان الامتحان مقياساً مضبوطاً لتحصيل الطالب ، فإننا إذا امتحنا فصلاً من التلاميذ امتحانين متكافئين من جميع الوجوه في مادة واحدة وفي وقتين متقاربين ، وجب أن تتفق درجات كل تلميذ في الامتحانين . فلتحقيق ذلك اتفق الحاضر مع نظار مدارس التوفيقية وشبرا والخديوية والإبراهيمية الثانوية ، ومدرسة العباسية الابتدائية ، على إعادة امتحان بعض الفصول في مادة معينة لكل فصل منها ، عقب عودة التلاميذ من إجازة وسط السنة . واتخذت جميع الاحتياطات لجعل الامتحان الثاني في كل مادة مكافئاً تماماً لامتحان وسط السنة في تأليفه وتصحيحه . وقد أخطر التلاميذ عن الامتحان مقدماً في بعض الفصول كي يستعدوا له ، وأغفل البعض الآخر من غير إخطار سابق ، للمقارنة بين النتائج في الحالتين .

وقد ظهر من نتيجة التجربة أن أكثر ... التلاميذ الذين امتحنوا في مختلف المواد بالمدارس ... نجحوا في أحد الامتحانين ورسبوا ... نجاحهم أو رسوبهم في أي الامتحانين ... الثانية الشكري بك — ٨٨ تلميذاً من ١٥٦ — اختلفت درجاتهم اختلافاً محسوساً في الامتحان الثاني عنه في الأول . وهناك ستة تلاميذ كانت درجتهم في أحد الامتحانين أقل من ٣٠ ٪ من النهاية العظمى ، وفي الامتحان الآخر أكثر من ٦٠ ٪ منها ؛ أو كانت في أحد الامتحانين أقل من ٤٠ ٪ من النهاية العظمى وفي الامتحان الآخر أكثر من ٨٠ ٪ منها

ولوحظ أن الدرجات تزيد في الامتحان الثاني عنها في الأول أحياناً ، وتنقص عنها أحياناً ، ويدل هذا على أن اختلاف الدرجات لا يرجع إلى تغير أحوال التلاميذ بالامتحان الثاني وعدم استعدادهم له ، بل يرجع إلى أسباب متصلة بطبيعة الامتحان ، وأهمها أن الامتحان مقياس ذاتي ، أي تتوقف نتيجته على تقدير الشخص الذي يقوم به ، سواء أكان ذلك من حيث اختيار الأسئلة والحكم على مدى ملاءمتها لمستوى التلاميذ ، أم من حيث تصحيح أوراق الإجابة وتقدير الدرجة التي تستحقها .

وبالنظر إلى كل هذه العيوب التي نلمسها في الامتحانات تساءل الحاضر : هل يمكن أن نستغني عنها بتاتاً ؟ والجواب أن هذا غير متيسر لأننا لم نتوصل بعد إلى شيء آخر يمكن أن يقوم بالوظائف التي تؤديها . وقد يقال : لماذا لا نكتفي بالمقاييس التي ابتكرها العلماء لقياس الذكاء والملكات العقلية المختلفة ؟ وهذه المقاييس في الواقع مفيدة جداً في الكشف عن استعدادات التلاميذ الطبيعية ، التي يجب أن نعرفها كي نحسن توجيههم إلى أنواع التعليم الملائمة لهم . ولكنها لا تقيس إلا الناحية الفكرية من شخصية التلاميذ ... الميول والصفات الخلقية الضرورية للنجاح في المدرسة وفي الحياة العملية ، كالثقة بالنفس والاجتهاد ... وضبط النفس ... فليس لها إلى الآن مقاييس علمية ... ومن جهة أخرى ، فإن مقاييس الذكاء والاستعدادات العقلية لا تقيس القدرات التي اكتسبها التلميذ من دراسته ، ولذلك لا يمكن الحكم عليه حكماً كاملاً ، ويجب أن تكمل نتائجها بمقاييس تقيس قوة التلميذ لا سيما في مراحل التعليم الراقية .

وقد ابتكر علماء التربية نوعاً جديداً من الاختبارات لقياس مقدار تحصيل التلاميذ العلمي قياساً موضوعياً — أي لا تتوقف نتيجته على تقدير المختبر — وتسمى « الاختبارات الحديثة » . ويشتمل الاختبار منها على عدد كبير جداً من الأسئلة القصيرة ، قد يبلغ المئات ، والإجابة عن كل سؤال لا تتعدى في العادة كلمة واحدة ، أو علامة بسيطة ، توضع في المكان المخصص لها في كراسة الأجوبة . ويعتقد الكثيرون — وبخاصة في أمريكا — أن هذه الاختبارات تغني عن الامتحانات المألوفة ، ولكن أكثر رجال التربية في البلاد الأخرى لا يشاطرونهم هذا الرأي .

(البقية في العدد القادم)



معي أسبوع آخر . وجلست هذا الصباح أنتظر . إنه اليوم المحدد لمجيئها . وحطار [illegible] النافذة أحجب عن الشمس . [illegible] الهواء ، والنهار قائم ، والحرارة [illegible] لا شيء يحول [illegible] بيني وبين الحضور . ولم تمض على ذلك إلا دقائق قليلة ، حتى طرق الباب ودخلت الفتاة في معطف من الفراء الثمين وعيناي بالسعادة مرحة ، وأخذت تخلع قفازها وتقول :

— هذا أنا أجيء ، ولا تأخير .

فنظرت إلى النافذة ، وقلت في نبرة تهكم غير ملحوظة :

— « الطبيعي » هذا الصباح غير مرغوب فيه ؟ !

فقالت في صوت الحالم :

— نعم ، الطبيعة كئيبة والشمس غائبة .

فقلت في الفور :

— قبل « الأديب » إذن أن يسمح لك ويشرف .

فسرها هـذا الجواب . وجلست أمامي كالطفل « العاقل » الذي ينتظر تفاحة ينبجة تقدم له بعد قليل . ومرت لحظة دون أن أقول شيئاً ، ولم أعرف في الحقيقة ما أقول ولا ما أصنع ! . وجعلت عيني تتفحص قوامها ووجهها وشعرها الذي ألح فيه بد الحلاق البارع وفكره ! وتذكرت عندئذ — لست أدري لماذا — تلك الشكايات الملتهبة التي قالها الراهب « بافنوس » مخاطباً « تاييس » . فاختلج قلبي ، لكني ملكت نفسي سريعاً ؛ وضحكت لذلك ، ضحكة خفيفة مسموعة ، فصعد الفتاة بالطبع إلى غير وجهها ، فأسرعت تقول :

— أزال لست جديرة ...؟

مثلها أيها الطالب الذي يخشى أن يحرم المسحة الموعودة . فقلت لها : أفكر مطرقاً ، وكأني أناجي نفسي : — [illegible] جديرة أن أحدثك عن مرارة السوداء . إنك [illegible] ولست أدري كيف أقدم لك [illegible] الأديب [illegible] وشق على نفسي أن أوجهك عن ما تكرهين ...

وسكت . وجعلت أتأمل ما قلت . فخيل إلي أني قطعي : لا شيء يكتب في هذه الأرض بغير جهد ، وبغير إرغام النفس على الشكر ، وكذا ما الغرض كثرت المشقة . إني أمام هذه الفتاة كأب أمام طفله ، فلا ينبغي أن أعجز عن أخذها بالشدة ، إذا اقتضى الأمر ذلك ، ينبغي أن تحب الشكب إذا أرادت لتكرها حتماً . ولا شيء غير ذلك . على كل حال مخطئاً في القول . فما أن تدعن وترويض نفسها على حب المطالعة ، وتمضي إلى مصحى ،

ومن كل حال فهذه الاختبارات لا تحل مشكلتنا ، لأنها في مجموعها لا تقل عن الامتحانات العـادية — بل قد تفوقها كثيراً — في توجيه الطلاب إلى الاعتماد على اختزان الحقائق المفردة غير المترابطة في ذاكرتهم .

والخلاصة أن الامتحانات إن كانت شراً فهي شر لا بد منه ، والواجب أن نبحث عن وسائل إصلاحها حتى تتخلص مما يشير شكوانا من العيوب والشوائب . وهذا ما سنبينه في المقال التالي .

وتصدع بأمرى ، وتبلغ على الأقل حسن استمتاعها لمعاونتي في الخطة التي أشرحها لها ، وإما أن تعرض عنه الآن غير آملة في شيء ، فإني لا أستطيع المستحيل . وتجهم وجهي ، وأخذت ملامحي لوناً آخر كله صرامة ، وفتحت فمي لأعلنها بكل هذا . ولكن شيئاً أغلق فمي وسكن أعضائي . إنه خوف غامض انبعث في أعماق نفسي . نعم إني أخاف أن يدمر هذا المصير الجميل فيطلق عاريا يهيم في عالم التشرد على يدي . فاتها ما كان فيه من زخرفة جوفاء فوق الصدور . ونظرت إليها متردداً حائراً :

— أيتها الآنسة ... !

وأدركت بذكائها شيئاً كثيراً مما يجول بخاطري ، فبادرت تقول لي :

— لا تخف . إني سأقوم بما تأمرني به . ألست قد قلت لك إني قوية الإرادة ؟

فتشجعت وقلت لها :

— أتقرئين ؟!

فقالت في الحال :

— كل ما تأمرني بقراءته .

فاندفعت قائلا :

— وتكتبين ؟!

فقالت بغير توقف :

— كل ما تأمرني بكتابته .

فصحت فرحاً :

— إذاً أنت قد نجحت .

فقالت في شيء من التفكير :

— نعم . إني أستطيع أن أجد دائماً وقتاً كافياً قبل النوم للقراءة والكتابة ، وأنا على فراشي تحت مصباحي الوردي . ولكن هنالك صعوبة واحدة ...

فقلت قلقاً :

— ما هي ؟!

فقالت كالخائفة تعبا :

— إنك بطبيعة الحال ستمتحنني فيما أقرأ . وأقول لك مقدماً إني ساقطة في الامتحان ...

فضحكت :

— إنك تسبقين الظن بفشلك .

فابتسمت :

— لا . إن حبي لأبي يؤكد لي أني لا أطيق مطلقاً أن أقف موقف من يؤدي امتحاناً . إن كل ما قرأت يطير من رأسي عند ذلك كالدخان . ولن أستطيع أن أبوح لك أني قرأت شيئاً .

فبدا على وجهي الارتياب :

— أيتها الآنسة ! أتخادعين نفسي ؟ وتدبرين لي الآن خطط الهروب ؟

فضحكت من تعبيرها البديع :

— إن الأفكار الغريبة بعيدة عن رأسي . ولكني أعرف مواضع ضعفي حتى تكون على حذر .

فصمت لحظة . ثم صحت في وجه الفرح :

— أيتها الآنسة . قد اهتديت إلى وسيلة رائعة .

— ما هي ؟

— ما قولك في أني أنا الذي أقف بين يديك موقف من يؤدي الامتحان ؟

فضحكت حتى كادت تدمع عيناها :

— أنت ؟! أنا أمتحنك أنت !

— ولم لا ؟

وتناولت كتاباً قريباً من يدي وقلت لها :

— ستقرئين هذا الكتاب ، وعند زيارتي المقبلة في الأسبوع المقبل توجهين إلي ما شئت من أسئلة . ولن أوجه أنا إليك سؤالا واحداً .

فنظرت إلي نظرة من يقول : « يالك من ماكر ! » ولم يسعها إلا الإذعان . فتناولت من يدي الكتاب ووزنته في كفها وقالت :

— أقرأ كل هذا في أسبوع ؟

فأجبت :

— اقرئي بعضه . اقرئي عشر صفحات أو عشرا .
[illegible] أطلب إليك قراءة كتاب بأكمله . أذ [illegible] هذا أقرأ
كتابا بأكمله .

فنظرت إلي دهشة !

— عجبا ! وكيف تعرف موضوع الكتاب إذن ؟

فقلت لها باسما :

— ليس يعنيني في كل الأحوال الإلمام بموضوع
الكتاب . إنك مثلي مثل الطاهي الذي تدخل مطابخ
الآخرين . إنه ليس مضطرا في كل مرة أن يتناول أكلة
كاملة ليحكم على جودة الصناعة . بل يكفيه أن يأخذ
« لقمة » من كل إناء فيدرك في الحال كيف صنع اللون ،
وماذا استعمل في إعداده وماذا أدخل في تركيبه .

فقالت : — ولكني أنا . . .

فقهمت مرادها :

— نعم أنت أيضا أكثر [illegible]
الأسئلة التي ستوجهينها إلي [illegible]
ستدلني على مبلغ ذوقك في هذه المعاني [illegible]
التي تعرفينها لا يحتاج لها في الأمر إلا من حيث ذوقك
وعدم شوقك لما تقرئين .

فصمتت قليلا ، وأرخت أهدابها ، وفتحت الكتاب
وجعلت تقلب صفحاته وهي تفكر . ثم قالت لي براحة
وسذاجة وهي تقرأ عنوان الكتاب :

— « تاييس » ؟ من تاييس ؟

فأجبت وقد ابتسمت ابتسامة غامضة :

— ستعرفين . . . إذا قرأت .

* * *

نعم . كان الكتاب الذي وضعته بين يدي الفتاة هو
كتاب « أناتول فرانس » لماذا فعلت ذلك على وجه
التحديد ؟ ألأنه كان قريبا مني متناول يدي تلك اللحظة ،
أم أنه تدبير مقصود ؟ في الواقع أنهما الأمران معا . إن

هذا الكتاب قد فرغت من قراءته البارحة . ولم أقرأه إلا
من أجلها هي . وأود لو تقرؤه هي أيضا . ففيه مواقف
أحب أن أجرب مدى فهمها إياها . ومن يدري ؟ لعل
تحتوي هذا الكتاب لها من أول الأمر ، يبق بي . . . [illegible]
تحرك نفسه عقلها أو شعورها فتلمسه تلك الجذوة الصادقة
التي سفت في حياته « تاييس » كل عرض الدنيا وزائفها
وبهجتها . وهذا بعض ما أريد لهذه الفتاة : أن يمس
قلبها نور جديد مصدره السماء لا الأرض . وأن تؤمن إيمانا
مطلقا بالجمال المعنوي الذي لا تعرف اليوم معناه ولا مداه .
كل هذا قد تستشفه من قراءة « تاييس » . ولكني . . .
أخشى أن تستشف شيئا آخر . أخشى أن يستطيع
ذكاؤها إدراك المأساة في شخصية الراهب « بافنوس » .
وأن تمتد عيناها إلى أعماق عواطفه ، فترى ما لا أريد لها
[illegible] . هذا ما اتضحت لنفسي مرة أخرى .
[illegible] ويبدو لي أنا أن تكون بعيدة
[illegible] شبه بيني وبين « بافنوس » . فقد
[illegible] إني لن أريد ومنة من دماغها في

* * *

وجهت الفتاة بالكتاب . ووضعت أناملها في
أضالعها . ونهضت بعدها مودعة :

— أرجو أن لا يشغلني شيء عن قراءة هذا الكتاب ،
حتى أعود إليك الأسبوع القادم رافعة الرأس . . .

وابتسمت . ولكني الموضع كانت ما تزال تتدفق
التفتت نحوي إليها لا لتحية ، بل لاسترداد الكتاب :

— أخشى أن أكون قد أسأت الاختيار . ردي
هذا الكتاب ، وخذي كتابا آخر . . .

وظهر القلق والاضطراب جليا في صوتي . فتفرست
الفتاة بعينيها الذكيتين في وجهي . وقالت في عزيمة :

— لا . إني أريد أن أعرف من هي « تاييس » !

توفيق الحكيم

أياصوفيا

للأستاذ محمود فؤاد مرابط

—

تبني استنبول على سبع رابيات مثل زميلتها روما ، ويبدو منازلها المطلة بسقوفها القرميدية الأحمر تتخللها الجوامع الفخمة ذات المآذن الرفيعة ، والقباب البارعة التي تعلو بخلالها مرتفعة من بين الأبنية . وفي الطرف الشرقي للمدينة قصر طوب قبو سراي Top kapi Saray الذي كان مقر سلاطين آل عثمان من الفتح إلى عهد السلطان عبد الحميد . وإذا أنعمت النظر وجدت تجاهه جامعاً ضخماً موطد الدعائم وأركانه [illegible] التحف الأخرى التي تلفت النظر [illegible] فيه [illegible] السامقة [illegible] المنبعثة نحو السماء ، قباب أنوار [illegible] والنهار سيان



[illegible]

هذا الأثر الذي لا يحسب التمويه بطراز عربي هو أياصوفيا

الشهيرة التي تعتبر آية الفن البيزنطي ومن معجزات فن العمارة . فإذا أردت أن تحتي بها وتقدرها حق قدرها فادخلها وتمتع بجمالها الباهي

بنيت أياصوفيا في النصف الأول من القرن السادس ... م . في عهد الامبراطور يوستينيانوس . فقد شبت في زمنه ثورة كادت تنزع تاجه عن رأسه لولا امرأته تيودورا التي كان لها موقف لا يزال التاريخ يذكره . فإن الأمبراطور قرر الفرار ... فوقفت امرأته أمامهم وقالت لهم بصوت ملؤه الحزم والعزم : « خير لنا أن نموت في ثيابنا الأمبراطورية الأرجوانية من أن نهرب » ثم خرجت إلى ظاهر القصر وخطبت في الشعب الثائر فأخمدت الثورة [illegible] [illegible] فلما ثبت يوستينيانوس على العرش أراد أن [illegible] الحكمة الإلهية Hagia Sophia [illegible] الآثار التي كانت موجودة في زمنه [illegible] المهندسين الشهيرين « أنتيموس Anthemius de Tralle [illegible] » Isodore de Milet وهما من الذين درسوا في مدارس الشرق العربي كما قال شارل ديل Ch. Diehl العالم في الآثار البيزنطية . ويتحقق قوله إذا علمنا أن عمل الأقبية والقباب هو من أساليب العمارات الكلدانية والساسانية والسورية ، وعلى ذلك يعتبر الفن البيزنطي فناً شرقياً ، وكذلك آثار مهندسي العرب كما شاهد بعيوننا الإسلامية

وقد صمم البناء على تخطيط مربع يبلغ طول جانبه ٧٧ متراً متجهاً نحو بيت المقدس بالضلع المحيط الشرقية abside وهي التي تعادل المحراب في الجوامع . ويعلو البناء [illegible] قبة يبلغ طول قطرها ٣١ متراً وهي محمولة على أربعة عقود نصف دائرية ترتكز أطرافها على أربعة أكتاف مربعة . وقد [illegible] من

جوستنيانوس . وقد استحضرت المواد اللازمة للبناء من جميع أقطار الشرق . وفيه ثمانية أعمدة ضخمة كل منها من



منظر داخلى فى جامع أياصوفيا

كتلة واحدة تقع على الجانبين الأيمن والأيسر وهى من الرخام الأخضر العتيق وجلبت من معبد [illegible] بجوار أزمير ، وبه ثمانية أعمدة أخرى [illegible] القبة [illegible] وهى من البورفير الأحمر ، وجلبت من مصر ، والجدران مغشاة بالرخام المختلف الألوان والمرمر الذى تتخلل عروقه المتموجة يتكون منها أشكال زخرفية بديعة ، وفى البناء عدا



منظر داخلى فى جامع أياصوفيا

ذلك كثير من المواد النفيسة التى يتطلبها الفن البيزنطى .

وقد استغرق بناء أياصوفيا خمس سنين ، واحتفل بافتتاحها فى يوم ٢٧ ديسمبر سنة ٥٣٧ ميلادية . وكان يوماً مشهوداً ، إذ دعى فيه الملوك والأمراء من مشارق الأرض ومغاربها ، ورجال الدين والحكام وكبار رجال الدولة . وركب الامبراطور عربة الحفلات تجرها سبعة أزواج من الخيل ، ويتقدم العربة الحرس الامبراطورى ويحف بها من الجانبين رجال البلاط . ولما وصل هذا الركب الفاخر نزل الامبراطور من العربة ودخل أياصوفيا هو ومن معه من المدعوين ، فبهر الحاضرون من عظمة الكنيسة وفخامة أبنيتها وأعجبوا بجمال زخارفها وبهاء ألوانها الطبيعية التى لا تتغير مدى الأزمان ، ففيها من أنواع الرخام الملون وأصناف البورفير [illegible] وأشكال الفسيفساء التى تتوهج ألوانها لمعاناً وتلألأ [illegible] الذهبية بريق يخطف الأبصار . ولما اتجهت الأنظار إلى القبة الهائلة المحلقة فوق الرقوس على ارتفاع [illegible] الجمهور ورفعوا رؤوسهم نحو تحت القبة إعجاباً ، [illegible] جستنيانوس ذلك علم أن أمنيته قد تحققت وأن هذا البناء هو الأثر الخالد فى زمانه وآخرها ، فجرى فيه طرباً ولمعت عيناه لمعة الظفر والانتصار ، وهرول نحو وسط الكنيسة تحت القبة ورفع ذراعيه إلى السماء وصرخ بأعلى صوته : « شكراً لك يا إلهى فقد اصطفيتنى لبناء بيتك المقدس . ويا سليمان قد تفوقت عليك » . ويعد هذا القول أن أياصوفيا فاقت معبد سليمان الذى كان يعتبر أعظم أثر فى ذلك الزمان .

وعندما فتح الأتراك مدينة القسطنطينية سنة ١٤٥٣ دخل السلطان محمد الفاتح أياصوفيا ، وكان عمره خمساً وعشرين سنة فنطق بالشهادتين وأمر الحفاظ بقراءة القرآن الكريم ، فكان لترتيلهم تحت هذه القبة العتيقة ما جعل فى النفوس رهبة وخشوعاً ، ثم صلى بالناس فاعتبرت

أياصوفيا من ذلك اليوم جامعاً تقام فيه الشعائر . وقد كان محمد هذا من الحكمة والعقل بمكان ، إذ كان سبباً في تقديس هذا الأثر ومنع الأبطال من تخريبه . وقد حافظ عليه الأتراك ورمموه عدة مرات حتى بقي كما كان إلى يومنا هذا . وقد بنى السلطان محمد الفاتح مئذنة . وبنى السلطان بايزيد الثاني مئذنة أخرى . وبنى السلطان سليم الثاني مئذنتين سنة ١٥٦٩ . ثم كتبت على الأركان الأربع الكتابة اللوحات الأربع الأخرى أسماء الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي . وهذه اللوحات من عمل الخطاط «تكفجي زاده إبراهيم أفندي» . وقد اتبعت هذه الطريقة في جميع جوامع استانبول ، وكذلك الكتابات فيها على الجدران . وقد جعلت لها إطارات من نفس البرنز . وقد حجبت الصور الفسيفسائية المسيحية بأياصوفيا بطبقة من الجير لمخالفتها للدين الإسلامي



منظر داخلي في جامع أياصوفيا

البيزنطية شيئاً كثيراً من الرشاقة ، كما قال دوجين مايار في كتابه «أثينا» . وقد أضاف الفن الإسلامي المحراب والمنبر والدكة والشرفة المغطاة بالقفص وهي على يسار المحراب ، وتسمى «هنكار محفل» أي المكان الذي يصلي فيه السلطان يوم الجمعة وله مدخل من وراء الجامع . وقد علق في صدر المكان في الأركان الأربعة فوق الأكتاف ست لوحات مستديرة كتب على الأولى منها لفظ الجلالة : «الله» وعلى الثانية اسم النبي «محمد» ، ثم كتب على

وقد أرادت الحكومة التركية بالاتفاق مع لجنة الآثار إظهار ما بأياصوفيا من الصور البيزنطية القديمة ، وبدئ في العمل منذ أربع سنوات ، وظهر منها إلى الآن صور غاية في الجمال والبهاء . وبذلك زالت صفة الجامع الإسلامية ، وصارت أياصوفيا أثراً من الآثار التي يزورها السياح ورجال الفن . وقد رفعت الأبسطة التي كان المسجد مفروشاً بها فظهر جزء مستطيل الشكل يبلغ طوله نحو ثلاثة أمتار

وعرضه متران تقريباً، وهو أقرب إلى الثمن، مستقلة تقطع على أشكال هندسية من أنواع الرخام الأحمر الأرجواني الذي تستعمل في الأعمدة وفي كسوة الجدران . ويقال إن الإمبراطور جلس على عرشه في هذا المكان يوم الاحتفال بافتتاح الكنيسة . وقد أزيلت اللوحات المستديرة ولم يمكن إخراجها من الأبواب لأن قطر كل منها يبلغ ثمانية أمتار ، وستوضع في متحف مع القطع الأخرى التي زعمت التي صيغت على هذه كالماء والتراب وغير ذلك . وكنت أخشى إزالة الكتابة الجميلة التي في صحن القبة على شكل دائري ، وهي تعتبر من أحسن الخطوط وتعد مفخرة من مفاخر فن الخط عند الأتراك ، وهي عبارة عن آية النور الشريفة التي أولها : « الله نور السموات والأرض » ، واسمها وقفه الخط رقبة ، وتعد هذه الآية مكتوبة في صحن كثير من قباب الجوامع باسطنبول



منظر داخلي في جامع أياصوفيا

من المسجد ، وقد يتساءل الناس : هل في نية لجنة الآثار هدم المآذن وإزالة الأبنية التي أنشأها الأتراك حتى يعود الأثر كما كان ؟ ولكن الحوادث أثبتت خلاف ذلك . فالزلزال الذي حدث منذ سنتين باسطنبول هدم النصف العلوي من المئذنة الجنوبية ، وقد رأيت في صيف هذا العام أنه قد أعيد بناؤها وصارت على حالتها الأصلية . وسائر من الأعمال التي ستجرى في داخل أياصوفيا يتضح أن كل

مما تقدم نعلم ما وصل إليه فن العمارة البيزنطية ، وكان من نتائجه إلهام معماريي الأتراك بعد الفتح ، فاستغلوا بعض قواعده وأبدعوا فناً جديداً يخالف الفن السلجوقي ، وصارت له شخصية بارزة في الفن الإسلامي ، وقد خلفت منه آثار في جوامع اسطنبول وتركيا ، لا تزال إلى اليوم شاهدة على عبقرية الفن الإسلامي بعظمتها وجمالها .

محمود فؤاد مرابط



عشرة أيام في العراق

للأستاذ الدمرداش محمد

١ — في الطريق بين دمشق وبغداد :

في الصحراء

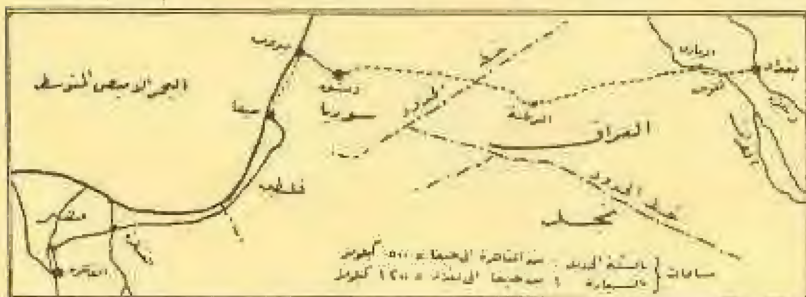
وعند الظهر غادرنا دمشق في [illegible] كبيرة تسع لعشرين راكباً [illegible] وهي معدة إعداداً خاصاً لسفريات الصحراء ، ومجهزة بخزان للماء وبمقاعد مريحة تتحول إلى الخلف في حالة استخدامها في الليل كسرير للنوم . وكان معظم الركاب من الأطباء الذاهبين لحضور المؤتمر الطبي العربي الذي كان عقد في بغداد في أثناء عطلة عيد الأضحى

وكان سائقها فتى من أهل دمشق عاقلاً رزيناً ، واثقاً بنفسه ، خبيراً بعمله ، عارفاً للطريق ، يتقي المزعجات ، ويطمئن عند « المطبات » . ويفتخر بأنه عبر الصحراء مائة مرة من غير أن يصاب بعطب ، أو تصاب سيارته بسوء !

اخترقنا شوارع دمشق وبساتين الغوطة ، ثم وصلنا إلى نقطة الجمرك بين العراق وسوريا على حدود الصحراء ، فأشر عماله على جوازات السفر ، ثم دخلنا بادية الشام — فضاء شاسع ، أرضها صفراء جرداء ، كلأها قليل ، وماؤها نادر ، يسقط عليها المطر في الشتاء أحياناً فيجعل سطحها ليناً [illegible] تسير فيه عجلات السيارات فتترك وراءها في الأرض شريطاً غائراً ممدوداً ، بين الغوطة بالشام وقلعة الرمادي على الفرات ، تتبعه السيارات في عبورها الصحراء [illegible] وعودة بين سوريا والعراق

[illegible] السفر فتطاولنا طويلاً ، وسكتنا [illegible] طويلاً ، وتمازحنا طويلاً ، و[illegible] [illegible] طويلاً للحفر حيناً والأرض [illegible] طويلاً [illegible] وتثاءبنا وتناعسنا [illegible] وأكلنا وشربنا وتلاقينا وغنينا وتحدثنا ، والساعات تمر تلو الساعات والصحراء كأنما ليس لها أول وليس لها آخر

وقبيل الغروب أبصرنا على يسارنا قلعة على ربوة بالقرب من الطريق ، يرفرف على جانبيها العلم الفرنسي ، وهي بالقرب



من خط الحدود بين سوريا والعراق ، وبعد قليل عبرة الحدود بين فاصلين من الحجر على سطحيهما بالعلم



في الطريق بين دمشق وبغداد
تتوسطنا أدوية الصحراء فنتوق عنده القهوة

أدبر النهار وأقبل الليل واشتد البرد ، وبدت الصحراء موحشة مخيفة يسودها سكون رهيب كسكون القبور ، وتملكنا الملل وحل بنا التعب فقفلنا ... أعيننا ، وارتكنا في المقاعد ، ... وسحبنا المعاطف ، وأحنا الرؤوس ... ، وأطفأ السائق النور ، وبدأ الغطيط وعلا الشخير عقلت وتقطيع ، بين تصعيد وتصويب ، وتشديد وتبسيط ، وقطع وتوصيل ، وصفير وزمجير وزئير ، وطال الحال على هذا المنوال حتى خلت أن صوت السيارة صوتة يشذ في أفرادها في عزف أنغام الأصوات ، كل هذا وسيارتنا تجد إلى الأمام بعزم شديد لا تلين ولا ترتمي ولا تشكو ولا تعرج ، ولا تنكر ولا تفتر ولا تني ، تنهب الأرض نهباً وتطوي المسافات طياً ، تواصل السير بالنهار وبالليل ، لا تبالي بحلكة الظلام ولا بوعورة الطريق

استيقظت على صوت حركة غير عادية بين الركاب ، وأبصرتهم يتطلعون جهة الشرق إلى ... من ضوء يلمع تارة ويخبو تارة ، والسائق يقول لسائليه : هاقد وصلنا إلى الرطبة ، ونظرت إلى الساعة فإذا الوقت منتصف الليل ، ثم وقفت بنا السيارة أمام بوابة كبيرة يحرسها جندي في لباس عربي شاكي السلاح ، ثم أقبل نحو السيارة ضابط عراقي في كامل بزته العسكرية وسأل السائق : هل سعادة محمد الشناوي بك وكيل المعارف المصرية بين الركاب ؟ فأجاب السائق بالإيجاب

فتقدم الضابط نحو الشناوي بك ، وبعد أن رفع يده بالتعظيم ، قال بصوت جهوري : يا سعادة الضيف العظيم ، إني موفد من قبل حكومتي للترحيب بكم والكون في صحبتكم ، وسيكون لي عظيم الشرف في قيادة حرس الشرف لسعادتكم حتى هذه الرمادي . فقابله الشناوي بك واقفاً مرحباً ، وبعد أن شكر حكومة العراق على هذا الكرم البالغ بعبارات تناسب المقام ، دعاه الضابط ورفقته معه جميع ... الشناوي ... في القشلاق

والقشلاق بناء كبير يحيط به سور ، وفي شماليه مطار ... السير ... الجنود ولو كانت معدة للنوم ... لا نريد إلى منتصف حجرة في الليلة ... وقدموا الشاي والكعك وأبدوا كل وسط عبارات الترحيب والتبجيل ، وغمرة الرهبة تغشانا بالكهرباء وتحقق من آثار في نفس النظافة — وعندها ثلاث ... مسة ... وهو ...



في الطريق بين دمشق وبغداد
وقفت بنا السيارة في الصحراء على بركة ماء تخلفت من السيل

وبعد ساعة استأنفنا السير ، وسيارة مدرعة بها جند القنابل تتقدمنا وسيارة أخرى تتبعنا ، وقد كان استقبال الشاوي بك هذا الاستقبال العسكري مفاجأة سارة ، كما كان موضع إعجاب الركب وحسن تقديرهم وموضع حديثهم فترة طويلة ، ولم نلبث طويلا حتى غلبنا النعاس ونمنا .

واستقبلنا صباح اليوم التالي بوجوه شاحبة وعيون ذابلة ورؤوس مصدوعة وشعر منكوش وهيئة رثة ، وألقيت إلى الصحراء نظرة ، فإذا هي كما عهدناها لها أول وليس لها آخر .

وفي الضحى ظهرت بوادر العمران : الله أكبر ! هذه أسراب القطا تحوم فوقنا ، وتلك قطيع من الجمال ترعى ، وهؤلاء بعض البدو على ظهور الخيل أوقفوها لينظروا إلينا ، وهذه خيامهم ، وهذه طريق معبدة تسير في محاذاة أنابيب البترول الذاهبة عبر الصحراء إلى فلسطين ، وهذه قرية وسط النخيل ، وهذه بساتين ، وهذه بلدة الرمادي ، وهؤلاء رجال ونساء وصبية وقفوا يلوحون لنا بأيديهم ، وهذا شارع [illegible] السيارة [illegible] أمام ديوان الحكومة [illegible] الولاية ورئيس الشرطة وكبار الموظفين والأعيان ، وبعض الأفندية المثقفين يخرجون للترحيب بسعادة الشاوي بك أيضاً باسم الحكومة ، وبعد التحيات والتسليمات دعونا لتناول طعام الغداء في [illegible] ، ووجهتنا إلى دورة المياه فغسلنا وجوهنا وأصلحنا هندامنا ، وصليت ركعتين ، ثم دعيت للجلوس بجانب الشاوي بك على مائدة الرئاسة على يسار حاكم الولاية ، وبعد أن أكلنا هنيئاً مريئاً استأنفنا السير جهة الجنوب في طريق معبدة على هامش الصحراء شمالي مجرى نهر الفرات .

وبعد ساعة عبرنا [illegible] حيث يوجد مطار كبير للقوة الجوية الانجليزية ، وبعد ساعة أخرى عبرنا الفرات على جسر من الحديد إلى شاطئه الأيسر عند بلدة «الفلوجة» ، واتجهنا نحو الشرق في طريق تخترق صحراء قاحلة بين الفرات ودجلة ، وعند تمام الساعة الرابعة مساء وصلنا أطراف الكرخ ، إحدى ضواحي بغداد ، وهنا انتظرنا قليلا على جانب الطريق حتى مر جلالة الملك غازي ذاهباً إلى قصره خارج بغداد ، وكان راكباً سيارة صغيرة لونها أحمر يقودها بنفسه ويتبعها عسكري ممتطياً « موتوسيكل » .

وقصر الملك لا يبعد كثيراً عن الطريق العام ، تحيط به حديقة وأشجار عالية وفي مواجهته على الجانب الآخر من الطريق قصر الأمير عبد الإله .

وقبيل الغروب وصلنا مبنى إدارة الجمارك حيث كان في استقبالنا جمع عديد من كبار الموظفين والأطباء والأعيان ، يتقدمهم سعادة السيد طه الراوي وكيل وزارة المعارف العراقية مرحباً باسم وزارة المعارف ، والسيد الدكتور [illegible] كبير أطباء العراق مرحباً باسم إدارة الصحة العامة [illegible] من الحكومة



في الطريق بين دمشق وبغداد
في بلدة الرمادي : الشاوي بك وركاب السيارة

وفي فناء الجمارك ودعنا مطية الصحراء شاكرين ، وركبنا السيارات فدرجت بنا في شوارع منسقة مغروس على جوانبها أشجار وحدائق ، وعند مدخل الكرخ شاهدنا تمثالا للمغفور له الملك فيصل ، يمثله ممتطياً صهوة جواده ، وبعد قليل عبرنا نهر دجلة على جسر من القوارب إلى الرصافة حيث نزلنا بلوكاندة « مود » ضيوفاً على الحكومة العراقية .

(لها بقية)

من أنحاء العالم

هل تنشأ دولة أوكرانية في الروسيا؟

تحاول الدعاية الألمانية أن تقضي على جارتها الروسيا بكل الوسائل، فهي لا تفتأ تتحداها وتناوئها، وتذيع عنها أسوأ الدعايات في كل مكان، ولا تتأخر عن تهديدها وتوعد رجالها بكل شر. وآخر ابتكاراتها في هذه السبيل مشروع إنشاء دولة أوكرانية مستقلة في جنوب الروسيا. وأوكرانيا كما هو معروف، إقليم في جنوب الروسيا شمال البحر الأسود، يسكنه الأوكرانيون المعروفون بولائهم للقيصرية السالفة، حتى أنهم رفضوا الاعتراف بالحكومة الشيوعية عند انقلابها سنة ١٩١٧، ولم يخضعوا إلا بعد حرب طويلة. وطالما يسعون [illegible] ولا تطمئن إليهم الحكومة الشيوعية السوفيتية، وتبذل جهداً عظيماً في مراقبتهم مخافة أن يعدوا ثورة على النظام الحاضر، وهم مستقلون إلى حد كبير في شئونهم الداخلية، إذ يكونون جمهورية داخلة في اتحاد الجمهوريات السوفيتية.

لهذا أعلنت حكومة برلين عزمها على معونة الأوكرانيين وتخليصهم من نير الاستبداد الشيوعي، فأرسلت تستدعي أحد الزعماء الأوكرانيين، المعروفين بعدائهم لحكومة موسكو — وكان منفياً — إلى برلين، فقابل هناك بمقابلة طويلة حضرها مستشار الرايخ هتلر في مسائل الأجناس الهر الفرد روزنبرج، ووضع فيها أساس الدعاية للدولة الجديدة. وقد ذكرت الحكومة الألمانية، في بيان أذاعته، أن قيام هذه الدولة لن يستغرق أكثر من عام ونصف عام. وأعلنت الصحف الألمانية أن ألمانيا لا تريد من وراء ذلك إلا تحرير الأوكرانيين المضطهدين من نير الروس، وأنها لهذا مستعدة بالمال والرجال لمساعدة الأوكرانيين على بلوغ هذه الغاية.

وقد تخوفت الحكومة الروسية من هذه الدعوة الألمانية الجديدة، فانتدب ستالين الجنرال لوزين رئيس هيئة النظام الداخلي، وأرسله إلى بلاد الأوكرانيين لمراقبة الأحوال، والقضاء على كل حركة ترمي إلى تحقيق هذا المشروع الألماني. وبدأ ستالين يعيد النظر في الدستور الروسي الجديد، لأن المادة السابعة عشرة منه تبيح لأية جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفيتي الانفصال والاستقلال بنفسها إذا شاءت.

وقد لاحظت السلطات الروسية بشيء من القلق سفر الغراندوق الكبير الأمير سيريل آل رومانوف من منفاه في فرنسا إلى برلين، لأن الإشاعات طارت بأنه ذاهب لمقابلة بعض الساسة في أمر تنظيم الدولة الأوكرانية. ولا يخفى أن [illegible] يجمع طوائف الروس الملكيين المبعدين [illegible] القسر في نواحيها (وفي نواحي أوكرانيا على الخصوص). وقد أقام له الروس في برلين حفل وداع عظيم تنسوا فيه مظاهرهم القديمة، واصطفوا لتحيته في يوم قدوم الاحتفال، وعاملوه معاملة رعية لملك، ووقف في حضرته الأميرال كيدروف قائد البحرية الروسية الملكية سابقاً، وصلى الجميع صلاة شكر لله لأنها طريق الكنيسة الأرثوذكسية الملكية السابق.

وقد تحدث الأمير إلى الصحفيين فأعلن إليهم أنه يأبى أن يقبل عرش أوكرانيا لأنه يصر على أن يتولى عرش روسيا كلها ولا يقبل تجزئة وطنه بحال، وأكد لهم أنه لا يتوق التفاهم مع الحكومة الألمانية على شيء من هذا القبيل. ولا يدري أحد ماذا سيكون مصير هذه الحركة الخطيرة!

إيدن في أمريكا:

تبذل الحكومة البريطانية الآن جهداً عظيماً في الدعاية لمحاربة الدعايات النازية والفاشية في مختلف بلاد العالم ، وقد لاحظ الناس نشاط الانجليز الأخير في عواصم الدول الأوربية وتعدد زيارات الوزراء الانجليز لوزراء الدول الأخرى ، ومن أعظم هذه الزيارات ما قام به الوزير الانجليزي الأشهر أنتوني إيدن من زيارة الولايات المتحدة الأمريكية وتجوله في كبريات بلادها وإلقائه الخطب الرنانة فيها دعاية لبلاده ودفاعاً عن مبادئها . وعلى الرغم من اختلاف المستر إيدن مع تشمبرلين فإن هذا الأخير اهتم بهذه الرحلة اهتماماً جعل لها صفة شبه رسمية ، وجعل لها أعظم الأثر في العلاقات بين انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية ، وقد زار إيدن الرئيس روزفلت ولبث معه حوالى الساعة . والمعروف أن إيدن يعجب بروزفلت إعجاباً كبيراً ، وقد أعلن ذلك في مناسبات عدة . ويقال الآن في الدوائر السياسية إن إيدن سوف يعين سفيراً لبريطانيا في وشنطن

دلاديه في تونس وقورصقة:

وهذا مثل آخر من أمثلة النشاط الجديد الذي دب في الحكومات الديموقراطية ، فقد رأت الحكومة الفرنسية من مطالب إيطاليا في تونس وقورصقه ، وخافت أن الدعاية الطلينية التي تبثها إيطاليا في هذه النواحي والاستعدادات الحربية في ليبيا ، فقرر دلاديه رئيس الوزارة الفرنسية الطواف بتونس وقورصقه في مظاهرة عسكرية .

وقد تمت الزيارة وسط مظاهر حماسية من الأسطول الفرنسية والهلال العسكري ، واستقبل رئيس الوزارة الفرنسية استقبالاً شعبياً عسكرياً — بدوياً طبعاً — في تونس حظي فيه الرئيس شاكراً للتونسيين ولاءهم وتعلقهم بالفرنسيين ، واضطر رجال الحكومة التونسية إلى مجاملته بمثل هذا الكلام طبعاً . وفي كورسيكا أقيمت المظاهرات لاستقباله وحضر عدداً من الحفلات الشعبية شارك الناس فيها في أعيادهم ومسراتهم

والفرنسيون الآن يهتمون بأمر تونس اهتماماً ظاهراً ، فهم يقيمون التحصينات العسكرية على حدودها الشرقية ، ويبذلون جهدهم الآن في إنشاء خط دفاعي من الحصون الأرضية على مثال خط ماجينو شمالي فرنسا ، وفي النية استقلال الشيخ أرك لابون حاكم تونس الذي عاكم عسكري الإشراف على الاستعدادات الدفاعية هناك .

الحرب الصينية اليابانية:

لا يعرف الآن على وجه التحقيق ماذا سيفعل اليابانيون بعد استيلائهم على هنكاو وكانتون ، فالساحل الصيني الآن بيدهم كله ، والإشاعات متضاربة في نوع الحكم الذي ستقيمه في هذه النواحي ، ويقول الكثيرون إنها تنوي التوغل في الداخل بعد أن صار في يدها الساحل كله لإكمال الاستيلاء على الصين الداخلية

بيد أن الأخبار الأخيرة تدل على أن سلطان اليابانيين في الأماكن التي استولوا عليها مهدد الآن بخطر عظيم ، إذ أن الصينيين كفوا عن الحرب النظامية ، وتحولت قواتهم كلها إلى حرب عصابات على طول الساحل من شنغهاي إلى كانتون ، فالمراكز اليابانية كلها والمعسكرات التي أنشئوها

وخطوط المواصلات بالسيارات أو بالقاطرات، والمطارات ومستودعات الذخيرة وغيرها مهددة بهجوم العصابات الصينية المسلحة التي تنقض عليها من المخابئ وتحيل بها الخسارة الفادحة. ويؤكد العارفون بأحوال الصين أن اليابان تتكبد الآن خسائر فادحة من أثر هذا الأسلوب المرهق في الحرب، وأنها إذا استمر الحال كذلك ستتخلى عن كثير مما بيدها، نظراً لفداحة النفقات التي تبذلها وقلة الكسب «الحقيقي» الذي أصابته من هذه الحرب الفنية، ولنشاط الصينيين الذي قد يؤدي إلى خروج كل شيء من يدها.

وقد أكد ذلك القائد الانجليزي أرثر ونستون قائد الجيش الانجليزي المقيم في الصين في حفل أقيم له تكريماً بمناسبة اعتزاله الخدمة، فقال: «بدوام القتال [illegible] في الصين [illegible] رجال اليابانيين منهم كثيراً [illegible] الجيش الياباني في الصين الآن [illegible] اليابان إبقاء جيش عظيم في الصين [illegible] العصابات زمناً طويلاً. لأن الخطر الأكبر في الحرب يهدد كل ما بيدها فهي مضطرة إلى حراسة الساحل كله حراسة فعالة»

إيطاليا ونفقات الحرب والدفاع:

حينما تسامع الكونت ثون دي ريفل وزير المالية الإيطالي بأن بريطانيا قررت إنفاق ١٥٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه لتسليح دفاعها، وأن فرنسا أقرت ٢٢٤٠٠٠٠٠٠ جنيه لهذا الغرض، وأن اليابان أرصدت ٢٣٣٠٠٠٠٠٠ من الجنيهات لنفقات حرب الصين وغيرها، قرر هو الآخر زيادة ميزانيات الدفاع والتسليح الإيطالية من ٩٤٠٠٠٠٠٠ من الجنيهات إلى ١٩٤٠٠٠٠٠٠ من الجنيهات أي زيادة مائة مليون كاملة في السنة المقبلة.

مع أدبائنا المعاصرين

(بقية المنشور في صفحة ٦)

غريزي هنا إلى الصواب أم غير موفق؟ ولكني أعلم أن أبا العلاء خليق أن يقرن إلى أبيقور في مذهبه الخلقي وفي إعراضه عن اللذات لأنها لا يمكن أن تتاح له كاملة.

وهنالك عبارة كنت أحب أن يبرأ منها الكتاب، فقد تصور الشيخ أبي العلاء أن الشيخ يمكن أن يكون قاضياً لقضاة وقاضٍ ولعله المعرة بكلها، وما أحسب أنها قد كان قضاة في عصر أبي العلاء، وقد جرى على لسان الخطيب[1] وعلى لسان الشيخ[2] كلام أهمل فيه النحو بعض الإهمال. وما أظن أن أبا العلاء كان ينصب أو يجر حيث يجب الرفع، [illegible] أنه كان يغير من لغته أن يضع «من» مكان [illegible] وما أشك في أن هذا من خطأ الطبعة ولكنه [illegible]

[illegible] ذكر حيرة البعث[3] التي لا أرى لها قطعاً ولا أعرفها [illegible] وما أعرف أن البعث حائر، وإنما البعث سرى في الإسراع بمرض الله المطيع، فلا يغني عنه إسراعه في السرعة شيئاً، فلا حيرة هنالك ولا حائر.

وبعد، فإن في الكتاب فصولاً رائعة رائقة، يجد فيها القارئ من اللذة والمتاع ما لا تنقص منه هذه الملاحظات، ولو لم يكن فيه إلا أنه يمكن القارئ الشاب من الاتصال بهذه الآراء التي تصطدم ويشتد بينها الصراع في حياة العالم الحديث، وموقف الأستاذ العقاد من هذه الآراء، لكفى هذا مشوقاً أن يجعل قراءته مصدر متاع متصل وغذاء للعقل والروح معاً.

طه حسين

(١) صفحة ٢٣٣
(٢) صفحة ١٨٩
(٣) صفحة ٢٤٨

مقتطفات

قيمة الخبرة!

كان لتوماس أديسون المخترع المعروف مساعد ذكي اسمه هتشنسون، نبغ في فن الآلات نبوغاً عظيماً جعله موضع ثقة كبار أصحاب المصانع. فكانوا يستشيرونه فيما يعرض لهم من المسائل الفنية، ويستقدمونه لإصلاح ما يستعصي عليهم إصلاحه من عطب الآلات.

فاستقدمه صاحب مصنع ذات يوم لإصلاح آلة معطلة فلم يكد الخبير يفحصها حتى طلب مطرقة، ثم جعل يتحسس الآلة بيده ومطرقته وأذنه، ثم طرق جزءاً منها طرقة خفيفة أمر بعدها بإدارة الآلة، فدارت كأن لم يكن بها عيب!

وتقدم بعد ذلك إلى صاحب المصنع يطالبه بأربعمائة دولار أجراً لذلك الإصلاح! فدهش [illegible]

— أربعمائة دولار أجراً عن ضربة [illegible] لا تساوي غير دولار واحد ....

فأجاب هتشنسون:

— صدقت! إن الطرقة نفسها لا تساوي أكثر من ذلك الدولار؛ ولكن الثلاثمائة والتسعة والتسعين دولاراً الباقية هي أجرة معرفة الجزء الذي ينبغي طرقه ... إنها قيمة الخبرة!

قطط ذات صفة رسمية!

لا تزال مصلحة البريد الانجليزية تحتفظ في إدارتها بعدد لا بأس به من السنانير لاتقاء شر الفيران وغيرها من الهوام، ولهذه القطط مرتبات مقررة وعطاء تأتي للعلاوات والترقيات! فكان مرتب القط قبل الحرب ستة بنسات في الأسبوع. فلما زيدت مرتبات موظفي البريد جميعاً في أثناء الحرب، منحت القطط «الأميرية» علاوة لإبلاغ مرتبها إلى شلن كامل في الأسبوع!

وعلى ناظر مكتب البريد أن يحتفظ بملف خاص لكل قط من مرءوسيه، ولا بد أن يستوفي بعض البيانات الخاصة بمرتب القط، والمهمة التي يؤديها؛ ولا بد كذلك أن يبين لون القط وسنه وتاريخ التحاقه بالخدمة، وما إلى ذلك!

ولا بد أن يراقب ناظر المكتب مرءوسيه من القطط، ويتثبت من قيامها بمهام وظائفها على الوجه الأكمل! وقد كتب أحد النظار في تقرير رفعه إلى مدير البريد ما يلي: «القط الملحق بهذا المكتب يقظ ونشيط، ويقوم بأعماله على وجه مرضٍ جداً، ولم يخطئ إلا مرة واحدة، إذ فر منه فأر أشيب بعد مطاردة عنيفة. ولكنه استطاع في الليلة التالية القبض عليه. وإن نشاطه وكفايته واجتهاده في أداء واجبه لتستحق التنويه وتدفع بي إلى طلب زيادة المرتب المقرر له ومنحه علاوة بنسبة ٢٠٪ من مرتبه الحالي في حدود القانون واللوائح المالية».

حيلة بارعة!

[illegible] الجنود المحاربين في فرنسا أثناء الحرب [illegible] تشكو فيه سوء حال الأرض لعدم وجود رجال أشداء تستطيع استخدامهم في حرثها وفلاحتها

فلم يكد يقرأ الخطاب، حتى بادر بالرد في خطاب قال فيه لزوجته: «لا تبالي بحرث الأرض، ودعيها كما هي لأني أخبئ فيها سلاحاً».

ووقع الرقباء في مصلحة البريد الخطاب، كما كانت العادة أيام الحرب الكبرى، فلم يكادوا يقرءون مقال الجندي حتى حضروا إلى مزرعته، ومضوا يحفرون أرضها حتى قلبوا عاليها سافلها، ولم يدعوا شبراً منها إلا حفروه لعمق بضع أقدام

ودهشت الزوجة لهول ما رأت، فكتبت إلى صاحبها تنبئه بالخبر، وتشكو مصير الأرض التي أتلفها الجند، ولم يتركوا حجراً فيها مستوياً ...!

وانبسطت أسارير الجندي وهو يقرأ خطاب زوجته، ثم كتب إليها مسرعاً: «حسناً .... يمكنك الآن أن تزرعي البطاطس ....!»